رحلات شاعر الأهرام محمد عبد الغني حسن المهجرية، قراءة في ديوانه: "من وحي الأكباد النازحة" ويليه ملحق بالديوان

د٠ حسن بن أحمد النعمي (*)

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

ففي إحدى رحلاتي المتكررة إلى البرازيل، وبالتحديد صيف عام ٢٠٠١م كنت في زيارة لمدينة سلفادور بولاية باهيا البرازيلية، وفيها التقيت برئيس المركز الثقافي الإسلامي بباهيا المهندس هاني حسن ، وأصر – مشكورا- على أن أكون ضيفا عليه، ولكني اعتذرت لضيق الوقت، ولاسيما أني كنت على أهبة السفر للعودة إلى ساوباولو، فأصر على أن يزورني في الفندق الذي أنزل فيه ولم تكن بيننا سابق معرفة، فوافقت على ذلك، فزارني برفقة الشيخ عبدالحميد أبو بكر إمام المركز الإسلامي بباهيا، وبينا نحن نتجاذب أطراف الحديث سألني عن تخصصي العلمي فأفدته بأني متخصص في اللغة العربية وآدابها، فقال لي على الفور: هل مر بك الشاعر المصري محمد عبدالغني حسن؟ فأجبت: نعم، وأردفت: من يجهل العالم المجمعي والمؤرخ والأديب الموسوعي محمد عبدالغني حسن، فقال لي: إنه والدي رحمه الله، وتحول الحديث حينها عن والده، ودارت بيننا الأحاديث شجوناً تلك الليلة عن هجرته وإخوته إلى البرازيل ورحلات والده الأديب والمجمعي محمد عبدالغني حسن

(*) الأستاذ المشارك بقسم الأدب - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- المملكة العربية السعودية.

إلى المهاجر الأمريكية خلف الأبناء النازحين، وقبل أن يودعني حكى لي أن لوالده ديوان شعر كامل، خصصه للحديث عن الأبناء الراحلين، عنوانه" **من وحي الأكباد النازحة**"، نسخته الوحيدة موجودة لديه، وأنه لم يطبع من قبل، واستأذنني في الذهاب لداره ليحضرها إلى الفندق؛ لكي يقدمها هديه لي، مفيدا بأن النسخة التي تتوافر لديه هي النسخة الوحيدة من هذا الديوان، وفعلا ذهب وجاء بها، وكدت أطير فرحا تلك الليلة بالهدية الثمينة.

وعند تصفحي للديوان وجدته كنزا ثمينا، وصيدا وفيرا، يستحق الدراسة والنظر والاحتفاء، كما يستحق النشر والإخراج والاعتناء، وحالت-آنذاك- بيني وبين نشره ودراسته مشغلات وأعمال، وحانت الآن الفرصة لي لكي أقترب من الديوان وأقربه إلى متذوقي الأدب الرفيع، دراسة ونشرا، ورأيت في الديوان ما يستوقف قارئه من زوايا كثيرة ، ويستحق أن يقدم بطرائق مختلفة، ومناهج متعددة، ولكن استقر في رأيي بعد طول تردد أن الاتجاه الأبرز في هذا الديوان هو حديث الرحلة، وعلو صوت الأب المفجوع برحيل الأبناء تباعا، إذ برز ذلك بجلاء من خلال القصائد الأربع والثلاثين التي ضمها الديوان بين دفتيه، فكان فعل الرحلة على نصوصه طاغيا، ومغامرة السرد والوصف لتفاصيل رحلاته خلف البنين جلياً وبينا؛ وهنا عنَّت لي فكرة دراسة رحلات محمد عبدالغني المهجرية، وتتبعها من خلال ديوانه الذي بين أيدينا؛ ذلك أن الباعث الذي دعا شاعرنا لإنتاج نصه هو رحيل الأبناء إلى المهاجر، ورحلاته التي صورتها نصوصه هنا إنما كانت خلفهم؛ بروحه من خلال النصوص التي كتبها وهو في القاهرة، وبجسده وهو بين أبنائه في مهاجرهم في الأمريكيتين .

وشكلت الرحلة في هذا الديوان أرضية خصبة للانطلاق في عوالم شاعرنا؛ ومنها يمكن الانطلاق-لاحقاً- في دراسات مستفيضة وعميقة في عوالم النص واتجاهاته الأخرى، فالشاعر محمد عبدالغني حسن هنا في ديوانه

"**من وحي الأكباد النازحة**" هو رحالة، بكل ما تحمله الكلمة من معنى، قام بنقل هذا العالم الذي ارتحل إليه، عالم النفس البشرية التي بين جنبيه، وعالم أبنائه، وعالم الأدباء المهجريين الذين التقاهم هناك في المهاجر الأمريكية، ونقل إلينا صُورَ ما رأى من تلك العوالم الثلاثة ودلالات ما سمع، وكانت النصوص الأربعة والثلاثون فضاء دوّن من خلالها تجربة فريدة في الأدب العربي، تمثلت في توثيق أب مكلوم بالفقد يكتب أشواقه وآهاته وخفيات نفسه في آمالها وآلامها، ويصف الرحلة خلف البنين في أصقاع الأرض بكل تفاصيلها.

ويهدف هذا البحث إلى الكشف عن مسار هذه الرحلة، وكيفية التعبير عنها من خلال آليات من أبرزها عتبات النص ودلالاتها، حيث إني لا أروم هنا دراسة كل جوانب الرحلة في الديوان أو تتبع سائر اتجاهاتها ودلالاتها، وإنما أسعى إلى دراسة آليات شاعرنا في الإفادة من العتبات النصية في بناء نصه وتوثيق رحلاته، وكيف وظفها شاعرنا هنا توظيفا دقيقا؛ لبناء نص متكامل، ومن هنا فقد ركزت في هذا البحث على الديوان نفسه دون تشتيت الذهن بموازنات ومقارنات خارج إطاره، ففي حدود علمي فإن هذا الديوان لم ينشر من قبل ، فضلا عن أن يكون قد درسه أحد، كما سيتبين لاحقا، واقتصرت في التعرف عليه من خلال موازنته بنصوص الشاعر نفسه في دواوينه الأخرى فقط، علما أن ما كتب عن الشاعر من دراسات سابقة لم تتطرق منها أي دراسة لديوانه" من وحي الأكباد النازحة" المعني بالدراسة هنا.

إن الكتابة في الخطاب الرحلي، بخصوصيته التي بين يدينا، حيث يعج بحمولات الشوق والحنين أكثر من حمولات الوصف الرحلي التقليدي للمكان والعوالم المختلفة والغرائب والمشاهدات ، استدعت أن تعمد الدراسة إلى الانفتاح على المناهج النقدية المختلفة، والاستعانة بها نصية وسياقية، بالشكل الذي اقتضته طبيعة النص، للخلوص إلى شعريته ودلالاته المبتغاة، حيث تتكامل الصناعة الأدبية؛ للعثور على أدبية النص بنية ومضمونا، وهنا يبدو أن

المنهجين التاريخي والإنشائي هما الأنسب للإفادة من أدواتهما في تتبع الخطاب الرحلي لنص محمد عبدالغني حسن المختلف، وعند الإفادة من دلالات العتبات يحضر معنا المنهج السيميائي المعني بدراسة العلامات وأنظمتها المتصلة بما هو خارج النص، ولكنه يؤثر تأثيرا عميقا فيه. والتداخل المنهجي- في غالب ظني- هنا يسهم في الإجابة ربما عن سؤال النصية، والشعرية كذلك؛ المتمثل في ما الذي يجعل من خطاب ما نصاً؟ وهنا – كما في نصوص التي بين يدينا- حيث تجاور العتباتُ المتنَ بل تحاذيه، ويتداخلان أحيانا لدرجة يصعب فيهما الفصل بينهما، سواء ارتضينا مقولة النص الموازي أو اطرحناها جانبا، فالعتبات – في نظري- بتداخلها واندماجها مع المتن كما في هذ الديوان الذي بين يدينا غدت نصا أصيلا، وأضحت متناً. ورأيت أن تُبنى الخطة وفق المساحة المخصصة لمثل هذا البحث من مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة وثبت بمصادر البحث ومراجعه، وملحق بنص الديوان، وفي التمهيد عرفتُ بالشاعر محمد عبد الغني حسن بشكل مختصر، وتناول المبحث الأول توصيف ديوان "من وحي الأكباد النازحة" وتوثيقه ضمن أعمال الشاعر ونتاجه، وخصوصية تجربته، وخصص المبحث الثاني لدراسة عتبات نصوصه ودلالاتها الرحلية، أما المبحث الثالث فتناول المسار الرحلي في نصوصه، وأعقبت المباحث بخاتمة لأهم النتائج.

ولم أترجم في البحث لأحد سوى الشاعر محمد عبدالغني حسن، وإذا قلت: " **الديوان**"، في أي موضع من البحث فالمقصود به ديوان" **من وحي الأكباد النازحة**"، وملت لكتابة أسماء المدن اللاتينية كما ينطقها اللاتينيون حالياً، ولم أساير الشاعر في الرسم الذي ارتضاه، فمثلا كتبتُ "ساوباولو" بدلا من "سان باولو"، و"فوز دو اقواسو" بدلا من "فوس دي اجواسو"، و"بيلوهوريزنتي" بدلا من "الأفق الجميل"، و"بوينس آيرس" بدلاً من" بونس إيرس" ولكن في نص

الديوان أثبتُّها كما كتبها الشاعر، ولم أنازعه في اختياره، وفي ملحق ديوان الشاعر أثبتُّ النص كما هو في المخطوط، دونما تدخل في تعديل النص، حتى لو كانت الروايات الواردة في دواوينه الأخرى أدق في نظري؛ ولم أثقل الهوامش بالإضافات والتعليقات، فالهوامش المثبتة جلها من صنعة الشاعر نفسه، وأثبتُّ التشكيل كما هو، ولم أقم بأي تشكيل إضافي إلا في قليل من المواطن، وعند الضرورة الملحة، كما لم أتدخل في اختياراته الكتابية والإملائية، أو أعلق عليها –وهو المجمعي المعروف– فكتبتها وفق رسمه، وعند الإحالة إلى النص الشعري في البحث فإني أحيل إلى رقم الصفحة في الديوان بخط الشاعر نفسه، والحمد لله الذي أعان على إنجاز هذا العمل، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب.

* *

التمهيد:

التعريف بمحمد عبد الغني حسن(١٣٢٥-١٤٠٥هـ/١٩٠٧-١٩٨٥م):

ولد الشاعر محمد عبد الغني حسن في المنصورة في ١٩ أغسطس ١٩٠٧م، لأبوين من مركز ببا بمحافظة بني سويف ثم التحق بتجهيزية دار العلوم، وكان يمارس أثناء دراسته بها هوايته في الخطابة وقرض الشعر وإنشاده، ثم التحق بدار العلوم وتخرج فيها عام ١٩٣٢م ،وفي عام تخرجه أوفد إلى جامعة إكستر ببريطانيا لدراسة التربية وعلم النفس، وفي أثناء ذلك كان يدرس في الصيف اللغة الفرنسية وآدابها في إحدى الجامعات الفرنسية.

عمل في سلك التدريس منذ عام ١٩٣٧م ، كما عمل أستاذا بالمعهد العالي للتمثيل، فمديراً للإذاعة المدرسية، فأستاذا بكلية الشرطة، فمفتشاً عاما بالتعليم الثانوي والأجنبي، كما عمل مديرا للدعاية بدار المعارف، ومديراً عاماً لمؤسسة المطبوعات الحديثة، ثم مديراً للنشر بوزارة الثقافة المصرية، وفي عام ١٩٦٧م عين عضواً منتدباً بمجلس إدارة دار القلم، ومديراً للنشر بها ، وهو أول من قام في الشرق العربي بعمل الفهارس والقوائم التعريفية المبوبة لأكثر المكتبات ودور النشر في مصر، وفي عام ١٩٧٢م عُيّن عضواً مراسلاً بمجمع اللغة العربية بدمشق، وفي ١٩٧٨م ظفر بعضوية مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

حصل على جوائز عديدة، منها: نيشان النيل من الطبقة الخامسة، ووسام الجمهورية من الطبقة الثالثة، وجائزة الدولة التشجيعية في فن التراجم والسير، عن كتابه" أحمد فارس الشدياق". وله مشاركات أدبية عدة داخل مصر وخارجها، وألقى عددا من المحاضرات في المراكز الثقافية بعضها بتكليف من الحكومة المصرية، وشارك في كثير من المهرجانات واللجان والجمعيات الأدبية، وفيها التقى كثيرا من رواد الفكر والعلم والأدب.

نشرت قصائده في مطلع شبابه بصحيفة الأهرام، ومنذ خريف عام ١٩٢٧م أطلقت عليه صحيفة الأهرام لقب "**شاعر الأهرام**"، ونشر قصائده في المقتطف، وهو في الثانية والعشرين من عمره، وشارك في تحرير عدد من المجلات، منها: المقتطف، البلاغ الأسبوعي، والسياسة الأسبوعية، الثقافة، الهلال، الأديب، الضاد، المعرفة السعودية، المعرفة الدمشقية، قافلة الزيت، كما سبق وأن تولى رئاسة تحرير مجلة "الناشر المصري"، ورئاسة تحرير مجلة "بريد الكتاب".

أثرى المكتبة العربية بمؤلفات كثيرة في مجالات متنوعة، منها: "الشعر العربي في المهجر" ، " المقَّري صاحب نفح الطيب"، " غرائب في الرحلات" ، "معرض الأدب والتاريخ الإسلامي"، " من أمثال العرب"، "الخطب والمواعظ"، "القرآن بين الحقيقة والمجاز والإعجاز"، "الإسلام بين الإنصاف والجحود"، "التراجم والسير"، " المقامة"، "الموشحات والازجال"، " أحمد فارس الشدياق"، "علم التأريخ عند العرب"، " فن الترجمة في الأدب العربي"، "الفلاح في الأدب العربي"، " مي أديبة الشرق والعروبة"، "جورجي زيدان"، "عبدالله باشا فكري"، "ابن الرومي"، "المعاهدات والمهادنات في تاريخ العرب"، " ملامح من المجتمع العربي"، "تيجان تهاوت"، "بطل السند"، "بين السطور"، "ابن سعيد المغربي"، "حسن العطار"، "الشريف الرضي"، "جوانب مضيئة من الشعر العربي"، " تميم ابن المعز"، وله مجموعة من الدواوين الشعرية، هي: "من وراء الأفق"، "من وحي النبوة" ، " من نبع الحياة" ، " ماض من العمر"، " سائر على الدرب" والديوان الذي بين يدينا وينشر لأول مرة "في ذكرى الأكباد النازحة" . كما أن له تحقيقات متميزة، فقد حقق: " تلخيص البيان في مجازات القرآن" للشريف الرضي، و"حلية الفرسان وشعار الشجعان" لابن هذيل الأندلسي. وترجم عدداً من الكتب، منها: " المرأة والدولة في فجر الإسلام" لنابية أبوت، ورواية "مون فليت" ضمن سلسلة أولادنا.

زار عدداً كبيرا من البلدان، منها إنجلترا، وفرنسا، والبرازيل، والولايات المتحدة الأمريكية، وألمانيا، وتونس، والعراق، والسعودية، وليبيا، وسوريا، ولبنان، وتركيا، وغيرها، وشارك في محافل كثيرة فيها، محتفياً حيناً ومحتفى به في أحايين كثيرة، ووثقتْ أشعارُهُ كثيراً من تلك الزيارات، لاسيما ما ورد منها في ديوانه الذي بين يدينا "من وحي الأكباد النازحة".

توفي–رحمه الله– في ٢٣ كانون الثاني يناير ١٩٨٥م [١].

---

(١) **انظر تفصيل ترجمته في** : إتمام الأعلام ، ذيل لكتاب الأعلام لخير الدين الزركلي، نزار أباظة ومحمد رياض المالح، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٩م :٢٥١، والأخبار التاريخية في السيرة الزكية، زكي مجاهد، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، ١٣٧٩هـ:١٣٧، والأدب العربي الحديث، محمد عبدالمنعم خفاجي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، د.ت : ٢/٢٣٨–٢٤٢، وتاريخ الشعر العربي الحديث ، أحمد قبش، دار الجيل، بيروت، ١٩٨١م : ٢٦١–٢٦٢، وتتمة الأعلام، للزركلي، وفيات (١٣٩٧–١٤١٥هـ /١٩٧٧–١٩٩٥)، محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م: ٢/١٠٨، وتقويم دار العلوم، إعداد لجنة التقويم بدار العلوم ، القاهرة،١٤٤١هـ / ١٩٩١م:٢/١٢٠، وشخصيات مجمعية في استقبال الأستاذ محمد عبدالغني حسن، أحمد محمد الحوفي، مجلة مجمع اللغة العربية، جمادى الآخرة ١٣٩٩هـ، مج٤٣ :١١١–١١٧، وشعر محمد عبدالغني حسن، دراسة فنية، تيسير محمد الطيناوي، جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٨٧م، رسالة ماجستير، غير مطبوعة ،رقم (٣٠٧٣٩٥)، وشعر محمد عبدالغني حسن، دراسة فنية، زينب فؤاد عبدالكريم، جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٩١م ، رسالة ماجستير غير مطبوعة، ومنها نسخة في مركز جمعة الماجد، الإمارات العربية المتحدة، وعشت مع هؤلاء الأعلام ، عبدالله يوركي حلاق، مجلة الضاد ، حلب، ١٩٨٨م : ٥٨–٩٦، ومجلة الثقافة السورية، عدد يوليو ١٩٧٨، والمجمعيون في خمسين عاماً، محمد مهدي علام، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م :٢٩٤–٢٩٦، ومعجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢م، كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ /٢٠٠٣م:٥/٤٠١–٤٠٢ ، ومعجم الأسماء المستعارة وأصحابها ، يوسف=

المبحث الأول:

"من وحي الأكباد النازحة" توصيف الديوان، وخصوصية التجربة:

هذا الديوان فريد من نوعه، وفرادته متمثلة في قول صاحبه محمد عبدالغني في مقدمته:" فما عُرف أن شاعرا في الأدب العربي كله، على مدى تاريخه الطويل، صنع ديوان شعر برُمَّته في الشوق والحنين إلى أبنائه المغتربين، في رِباع من الأرض دانية أو قصية... ومن هنا كانت قيمة هذا الديوان الفريد الذي كاد صاحبه يجعله كله وقفا على اغتراب البنين، والشوق إليهم، وانتهاز كل فرصة مواتية، أو نهزة موافية، للحديث عن تلك الأشواق التي لا يعرفها إلا من يكابدها..." [1] ، فهذا الديوان كتبه الشاعر مصورا رحلاته في تتبع أبنائه النازحين الأربعة نبيل ويحيى وهاني وأحمد، برفقة زوجته "أم البنين الأربعة" كما سماها بذلك في مقدمته، وبالمناسبة فهذه العتبة تعد مدخلاً ذا قيمةٍ كبيرة، وتُقدِّمُ إضاءات مهمة تحدد الهدف والفرادة والمحتوى والقيمة في آن معا، حيث يقول:" ولقد أتيح لصاحب الديوان أن يرحل مع قرينته الصابرة (أم البنين الأربعة) إلى كل بقعة من بقاع الأرض في البرازيل، والولايات المتحدة الأمريكية، وإنجلترا، وإيطاليا، وتركية، ليجتمعا مع الفلذات في أية رقعة تهيئها لهما الظروف، حتى حين كان الخروج من مصر معاناة تنخلع لها الرقاب... كما أتيح لهذا الوالد الصابر أن يقف على منابر عربية

=أحمد داغر، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٢م : ١٦٤، ومفكرون وأدباء من خلال آثارهم، أنور الجندي، دار الإرشاد ، بيروت، د.ت : ٢٣٣-٢٤٠ ، ومقابلات المعرفة: الأديب الباحث الشاعر محمد عبدالغني حسن، مجلة المعرفة، العدد ٤٠، يونيو ١٩٦٥م: ١٤٥-١٦٣، ومن الأدب المقارن، نجيب العقيقي، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٦م: ٨١/٢-٨٤ ، ومن وحي المساء ، مقالات ومحاورات، حسين علي محمد، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، د.ت: ١٦-٢٠، و١٦١-١٦٤ .

(١) من وحي الأكباد النازحة، محمد عبد الغني حسن: ١.

عالية في سورية، والعراق، وتونس، والرياض، والمدينة المنورة، وسان باولو.. فكان يستحضر في المناسبات الحافلة الحاشدة، السعيدة وغير السعيدة، ذكريات أبنائه المهاجرين، وكأنّ تلك المناسبة العامة قد تحولت إلى مناسبة خاصة بلذعات الاغتراب في نفس الوالد الذي أذابه الحنين، مما لاقى من عنت السنين، وكأنه يردد مع "الخنساء" قولها في أخيها "صخر":

يذكرني طلوع الشمس صخرًا وأذكُره لكلِّ غروب شمس

وقد رأى الشاعر أن يجمع هذه اللذعات، واللمسات الأبوية، واللفحات العاطفية في ديوان واحد أسماه: **(من وحي الأكباد النازحة)**؛ لعله يكون سلوانا لكل من باعدت – أو قد تُباعد – الأيامُ بينه وبين فلذاته، أو لعله يكون تسجيلا باقيا لأول ديوان في المكتبة العربية كلها، على امتداد التأليف العربي، وامتداد الأوطان العربية كلها، يعالج عن تجربة صادقة، ومكابدة حقيقية حُرَقة الوجد والحنين، إلى الأبناء النازحين"[(١)].

واللافت للنظر هنا هو أن الشاعر سماه بنفسه "**من وحي الأكباد النازحة**" وخصصه لنصوصه التي مر فيها ذكر بنيه المغتربين الأربعة ؛ الذين خلفوه وأمهم في مصر وحيدين ، وهو يحوي تجارب سنوات طويلة تمتد لسبع عشرة سنة تقريبا، فأولها كتبت على أعتاب مغادرة ابنه الأكبر نبيل مصر عام ١٩٦٨م متوجها إلى البرازيل، كما ذكر الشاعر ذلك في مقدمة قصيدته" **الطائر المهاجر**" وفيها أوصى إلياس فرحات بابنه نبيل بقوله:" أرسل الشاعر القصيدة التالية إلى الشاعر المهجري إلياس فرحات والأديب والصحافي المهجري موسى كريم، صاحب مجلة الشرق البرازيلية يوصيهما بأكبر أولاده المهندس نبيل الذي هاجر إلى البرازيل ١٩٦٨م ..." [(٢)] ، فنبيل على هذا هو أول

(١) الديوان: ص٥٢.

(٢) المصدر السابق: ٣ .

المهاجرين، وقصائد الديوان تبدأ مع رحلته في مطلع ١٩٦٨م،أو قبلها بشهر واحد؛ فالقصيدة المشار إليها مؤرخة في ديسمبر ١٩٦٧م ؛ حيث راسل المهجريِين موصيا إياهما باستقبال نبيل قبيل سفره في مطلع ١٩٦٨م ، بينما آخر تلك القصائد كتبت عام ١٩٨١م ، وذلك قبيل انتهاء الشاعر من جمع ديوانه وترتيبه بعام واحد تقريباً، فشاعرنا انتهى من كتابة الديوان في القاهرة في شهر ربيع الأول ١٤٠٢هـ الموافق يناير ١٩٨٢م [١]، والجدير بالذكر أن للشاعر قبله خمسة دواوين مطبوعة ومتداولة، ذكر الشاعر التحديد الدقيق لتواريخ صدور بعضها في الرسالة التي بعث بها إلى الدكتور حسين علي محمد سنة ١٩٨١م وفيها يقول: " سألتني عن تواريخ دواويني التي صدرت ، وهي من وراء الأفق (سنة ١٩٤٧-٤٨) ، من نبع الحياة(سنة ١٩٤٩-٥٠)،ماض من العمر(سنة ١٩٥٣-٥٤)،سائر على الدرب(١٩٧٤-٧٥) ، أما ديواني " ما زلنا نسير" فالله أعلم بموعد صدوره عن المجلس والهيئة ووزارة الثقافة"، وقد علق الدكتور حسين علي محمد في الهامش معقبا على جملة الشاعر الأخيرة حول ديوان " ما زلنا نسير" بقوله" لم يصدر الديوان – أي ما زلنا نسير- طيلة حياة صاحبه" [٢].

وفي موقف آخر أشار الشاعر لديوانه الآخر" من وحي النبوة" بقوله في رسالة وجهها للدكتور حسين علي محمد:" أرسلت إليكم – بناء على رغبتكم الكريمة- بتاريخ ١٩٨١/٣/٣٠م ثلاثة من دواويني التي بقيت لدي منها نسخ قليلة، وهي :" من نبع الحياة" و" من وراء الأفق" " وسائر على الدرب" ، وقد حرصت ألا يظل البريد طريقه، فأرسلتها بالبريد المسجل على عنوانكم بديرب نجم... أما الديوانان الباقيان وهما "ماض من العمر" و" من وحي النبوة" ، فقد

(١) الديوان: ٢.

(٢) من وحي المساء، مقالات ومحاورات، حسين علي محمد:٢٠.

رجوت الأخ وديع فلسطين أكثر من مرة أن يبعث بهما إليكم من مكتبته – على سبيل الإعارة – ما داما مفقودين عندي، وقد فقدا من السوق من زمن غير قليل..." [١] .

فحصيلة الدواوين خمسة كما هي في رسالتيه السابقتين، وكذا لدى جميع من ترجموا له أو عرفوا بنتاجه سواء في حياته أو بعد مماته، ولم يرد أي ذكر لديوان سادس سوى في رسالته الأولى التي بعث بها للدكتور حسين علي محمد، والمؤرخة في ١٩٨١م، حيث أشار إلى أن له ديواناً سادساً، يواجه صعوبات في طباعته، عنوانه:" ما زلنا نسير" لم ير النور كما ذكر ذلك الشاعر بنفسه، وكما أكده الدكتور حسين علي محمد في تهميش الرسالة المشار إليها.

وهنا يبرز لدينا سؤال مفاده هل ديوان " **ما زلنا نسير**" – الذي تعطلت طباعته وتأخر نشره كما في قول محمد عبد الغني حسن في رسالته:" فالله أعلم بموعد صدوره عن المجلس والهيئة ووزارة الثقافة " – هو نفسه ديوان "**من وحي الأكباد النازحة**" الذي توجد نسخته المخطوطة والوحيدة بخط الشاعر لدى ولده هاني بن محمد عبد الغني حسن.

وبسؤالي لابنه هاني حسن[٢] الذي يحتفظ بالنسخة الوحيدة من ديوان" **من وحي الأكباد النازحة**" ومناقشته في هذا الأمر أكد لي أن والده– رحمه الله– لم يترك بعد وفاته سوى هذه المجموعة الشعرية التي بين يديه باسم " **من وحي الأكباد النازحة**"، ولم يترك ديوانا آخر باسم " **ما زلنا نسير**" وبالرجوع لديوان" **من وحي الأكباد النازحة**" نجد أن القصيدة التاسعة من قصائده عنوانها " ما زلنا نسير" وهو يتوافق والعنوان المذكور –للديوان الذي تعطل صدوره– في

---

(١) من وحي المساء: ١٩.

(٢) في لقائي الثاني معه بتاريخ ١١ أغسطس ٢٠٠٤، بمدينة ساوباولو – البرازيل على هامش المؤتمر السنوي لمسلمي أمريكا اللاتينية والكاريبي.

رسالة الشاعر الموجهة للدكتور حسين علي محمد عام ١٩٨١م أي قبل وفاة الشاعر بأربع سنوات، وهي قصيدة تأملية في رحلة الحياة عموما ورحلاته الشاقة خلف أبنائه المهاجرين خصوصاً ، قدم لها الشاعر بعد عنونتها بـ" **مازلنا نسير**" بقوله: "مع أكبادي النازحين في المهجرين الأمريكيين الشمالي والجنوبي وفي أوربا مازلت أسير في دروب الحياة الطويل الشاق، مؤمنا بقضاء الله الذي لا مفر، ولا محيد عنه ..." (١)، ومما جاء فيها قوله:

نحن قد سرنا ... وما زلنا نسيرْ، رغم ما في الدَّرب من بعض الصخورْ

إنما الدنيا طريقٌ شائك غيرُ مفروش دواما بالزهور

شيبَ فيها الحلو بالمرِّ... كما حُفَّتِ الجنةُ فيها بالسعير..

لا المساءاتُ بها ظلّت، ولا بقي الحزن، ولا دام السرور

أَوَما كنتُ وأكبادي هنا لم يفرقنا أصيلٌ أو بكور...؟

شملُنا في عُشِّنا مجتمعٌ.. وليالينا أغاريدٌ ونور...

فإذا العُشُّ الذي أَلَّفَنا حدثتْ فيه أمورٌ وأمورْ...

وإذا أكبادنا نازحةٌ... من وراء الظن، من خلف البحور

إلى أن يقول في آخرها:

قد قطعنا الشوطَ من أوَّلِه فلماذا الهمُّ في الشوط الأخير؟ (٢)

والذي يبدو لي أن" **مازلنا نسير**" و" **من وحي الأكباد النازحة**" هما اسمان لديوان واحد، كان قد سماه الشاعر باسم" **مازلنا نسير**" عندما بعث به للطباعة

(١) من وحي الأكباد النازحة، محمد عبد الغني حسن: ٢٠.

(٢) المصدر السابق: ٢٠.

للجهات الرسمية التي أشار إليها بقوله" المجلس والهيئة ووزارة الثقافة"[١] قبل عام ١٩٨١م، ثم عدل عن هذا الاسم في العام التالي الذي أرَّخَ به مقدمة الديوان١٩٨٢م؛ ليجعله باسم "**من وحي الأكباد النازحة**"، وظل بهذه التسمية لحين وفاته، وبقي مخطوطا بخط الشاعر نفسه بين يدي ابنه هاني المقيم في مدينة سلفادور بولاية باهية البرازيلية. والذي يؤكد ذلك هو أننا إذا تأملنا نصوص " **من وحي الأكباد النازحة**" التي بين يدينا نجد أنه لم ترد فيه أي قصيدة مؤرخة قيلت بعد ١٩٨١م؛ علماً أن الشاعر دأب على تأريخ جميع قصائده البالغة أربعا وثلاثين قصيدة، والقصائد الخمس التي كتبت في السنة الأخيرة، أي في صيف ١٩٨١م، جميعها فيها إشارات تتناص وعنوان الديوان" **من وحي الأكباد النازحة**"، بينما قصيدة " ما زلنا نسير" التي عنون بها الديوان أولاً كانت قد كتبت في القاهرة، وأُرِّخت ب" مارس ١٩٧٦م"[٢]، والقصائد التي قيلت في صيف عام ١٩٨١م كتبت أربعٌ منها في رحلته الأخيرة إلى لولايات المتحدة الأمريكية[٣] لزيارة ولده أحمد المقيم فيها وهناك التأم الشمل بالبقية الذين قدموا من البرازيل، كما حصل في الصيف الذي قبله "عام ١٩٨٠" وفيه كان العكس، فقد التأم شمل الأسرة في البرازيل آنذاك، وبالتحديد في مدينة سلفادور حيث يعيش ابنه هاني[٤]. والقصائد التي قيلت في صيف ١٩٨١م

---

(١) من وحي المساء، مقالات ومحاورات، حسين علي محمد:٢٠.

(٢) من وحي الأكباد النازحة، محمد عبد الغني حسن: ٢٠.

(٣) من خلال تتبع رحلاته وزياراته ونصوصه الشعرية الموثقة لها أظن أن زيارته هذه للولايات المتحدة الأمريكية صيف عام ١٩٨١م ربما كانت آخر رحلة له لزيارة أبنائه النازحين.

(٤) زيارته للبرازيل صيف ١٩٨٠م لسلفادور بالبرازيل واجتماعه بأبنائه جميعا هناك وثقتها قصائده "**هناك على الربوة العالية**" في ديوانه: من وحي الأكباد النازحة: ١٥،=

وكانت هي آخر ما ورد في الديوان زمنياً، وهي القصائد :"**خلف البنين النازحين**" أرخها بقوله:" بتسبرج- ١٩٨١"[١] وتلتها قصيدة" **ما ضر لو كنا التقطنا حكمة**" قدمها بقوله: في خلال زيارة الشاعر لأكباده النازحة في الولايات المتحدة الأمريكية بلغ من العمر خمسةً وسبعين عاماً، فأخذ يناجي ذكريات العمر، وقد أدرك غرور الحياة"[٢] وبيَّن في ختامها المكان والزمان بقوله:"الولايات المتحدة الأمريكية – صيف سنة ١٩٨١"[٣] وقصيدة "**أفكار في مساء العمر**" ذيلها بقوله:"نيوجرسي-١٩٨١"[٤]، فهذه العتبات التقديمية والختامية تؤكد أن آخر القصائد كانت في صيف ١٩٨١م، وأن الشاعر ربما ارتأى تغيير الاسم مستوحيا ظلال عنونة القصيدة التي كتبها في بتسبرج :" **خلف البنين النازحين**"، وكذا ظلال البيتين الواردين فيها، وهما قوله :

ولستَ تدري أنـــني في رحلـــة مثلك أعياني علـــى الأرض الـــسفر

=و"**فمصر الثراء، ومصر العطاء**"، المصدر السابق: ١٧، كتبها فـــي ســـلفادور ســـنة ١٩٨٠، وفيها يقول:

تَلاقَـــى الأحبَّـــةُ ... وافرحتـــي! لقـــــد حقَّـــــقَ الله أمنيتـــــي!

فعـــاد الهـــدوءُ إلـــى خـــاطري، وآب الـــــسرور إلـــــى مُهجتـــــي

وقـــرَّ الرفيقـــان عينـــاً... كمـــا يقـــــرُّ المـــــسافر بالأوبـــــة

هنـــا التـــأم الـــشمل بعـــد الفـــراق بـــــأرض التغـــــرُّب والوحـــــشةِ

(١) الديوان : ٣٢.

(٢) المصدر السابق: ٣٤.

(٣) المصدر السابق: ٣٥.

(٤) المصدر السابق: ٣٧

خلفَ البنين النـــازحين لم أزلْ أقتحمُ البيدَ علـــيهم والحَـــضَر [1]

وكذا قوله في تقديم قصيدة: "**ماضر لو كنا التقطنا حكمة**": خلال زيارة الشاعر لأكباده النازحة..." فربما أن جملتي " خلف البنين النازحين، ولأكباده النازحة" وغيرهما من عتبات مشابهة [2] في عنونة القصائد ومقدماتها، أقول: ربما أوحت له بالعنوان الجديد الذي استقر عليه رأيه في العام ١٩٨٢، وهو العام التالي لرحلته إلى الولايات المتحدة الأمريكية.

وخلاصة القول يتبين لنا أن جميع من ترجموا له لا يذكرون سوى الدواوين الخمسة وهي: "من وراء الأفق"، "من نبع الحياة"، "ماضٍ من العمر"، "من وحي النبوة"، "سائر على الدرب" على اختلاف في ترتيب صدورها بينهم، والمؤكد فقط هو أن "من وراء الأفق" هو أولها كما ذكر ذلك في مقدمة الديوان[3]، وأن "سائر على الدرب" هو آخرها من خلال قول الشاعر في الترجمة التي كتبها بخط يده، وأرفقها بالديوان لتكون غلافا خارجيا له كما كان يفعل في جل مؤلفاته:" من مؤلفاته الكثيرة : الشعر العربي في المهجر...

---

(١) الديوان : ٣٣.

(٢) من مثل عنوان قصيدة:" **أفتش عن أكبدي النازحين**" كتبهـــا ســـنة ١٩٨٠، المـــصدر السابق : ٢٣، وقصيدة:" **في بيت أكبـــادي حللـــت**" كتبهـــا عـــام ١٩٧٥م، المـــصدر السابق:٤٤، ومقدمة قصيدته "**بني لماذا اخترتم الهجر مذهبا**" وعنونت في الفهـــرس ب "من الشاعر المهجري إلياس فرحات وإليه"، وفيها:" **يعتذر عن عدم تمكنه من استقبال أكباده النازحين**..." المصدر السابق:٦، وغيرها من إشارات تحمـــل هـــذه المفـــردات الموحية.

(٣) انظر تقديم أنطون الجميل لديوانه "من وراء الأفق"، دار المعارف، القـــاهرة، مـــصر، ط١، ١٩٤٨م: ٥-٧.

التراجم والسير، غير دواوينه الخمسة وآخرها: "سائر على الدرب" "[1]، ولم يشر أحد منهم من قبل لذكر ديوان سادس، ولا اسما له، غير الإشارة العابرة التي كررها الدكتور حسين علي محمد من خلال إيراده للمراسلات التي دارت بينه وبين محمد عبدالغني حسن بين عامي ١٩٧٧م-١٩٨١م باسم : " مازلنا نسير" وتبين من خلال بعض الدلائل أنها تسمية أولية لهذا الديوان الذي بين يدينا، المعني بالدراسة، وهو " **من وحي الأكباد النازحة**" .

والديوان المخطوط الذي نحن بصدده "**من وحي الأكباد النازحة**" مكتوب بخط يد الشاعر نفسه، وهو الخط نفسه الذي كان يذيل به الشاعر مؤلفاته في الغلاف دوما تحت عنوان: "المؤلف بقلمه" ومن آخر مؤلفاته التي ضمت تلك الترجمة كتابه:" **بطل السند**" المطبوع في مطابع وإعلانات الشريف بالرياض، ويضم ديوان "**من وحي الأكباد النازحة**" أربعا وثلاثين قصيدة، وعدد صفحاته أربعٌ وخمسون صفحة مضافاً إليها صفحتان بلا ترقيم، هما فهرس القصائد وصفحة التعريف بالشاعر -المكتوبة بخط يده - المصورة من كتاب "بطل السند".

وقصائد الديوان أغلبها مخصصة للحديث عن أبنائه النازحين الأربعة "نبيل ويحيى وهاني وأحمد"، وحتى تلك القصائد الخمس التي كانت في مناسبات عامة، وهي: "**جئتُ في موكب من الخُلد ضافٍ**"، و"**بعثتني خمائل النيل طيراً**"، و "**لكنني يا أبا الأبطال معتذر**"، و "**لم أزل من نأيهم في وحشة**"، و"**خلوا الجراح تقرب كل من بعدوا**"، كانت فرصا ليثير الحديث فيها عن أبنائه النازحين، فقصيدة" **جئتُ في موكب من الخُلد ضافٍ** "، التي مطلعها:

---

(١) غلاف ديوان " من وحي الأكباد النازحة" الصفحة الأخيرة بخط يد الشاعر، والترجمة مصورة من غلاف كتابه: بطل السند، طبعة مطابع وإعلانات الشريف بالرياض، الطبعة الأولى ١٩٨٣م، مصورة عن طبعة دار المعارف،١٩٧٥م.

صانكِ اللهُ يا دمشقَ الحــضاره! جاءكِ الشعر باســطاً أعــذاره.. (١)

ألقيت في مهرجان الحضارة العربية الإسلامية المنعقد بدمشق في ١٩٨١م بمناسبة مرور أربعة عشر قرنا على الهجرة نجده يقول فيها متذكرا بنيه، بقوله:

جئــتكم والحــنينُ يعــصر قلــبي لــبَنيَّ الــذين هــدُّوا جــداره

إنني ذاهــبٌ لهــم بعــد شــهرٍ ، أتخطَّــى مــن أجلــهم أســواره

آه لــو أنــني انطــوى ليَ عــامي! فــأرى مــن شــهوره "أيَّــاره"!!

حيث تُطوَى لي الأرض والجوُّ طيــاً في ذراع مــن جــانبَيْ طيــاره..

فــأراهم كمــا أراكــم وأغــدو شاكرا حامدا لتلــك الزيــاره... (٢)

وقصيدة "**بعثتني خمائل النيل طيراً**" التي مطلعها:

أنــا –والله– في حمــى (المهديَّــه) بــين أهــل الــسَّماح والأريحيَّــه (٣)

قيلت في مناسبة شعبية كبيرة بمدينة المهدية التونسية في مايو عام ١٩٧٦م؛ احتفالاً بالتوأمة بين مدينتي القاهرة والمهدية، شهدها الرئيس التونسي الأسبق الحبيب بورقيبة، وفيها لم ينس الشاعر بنيه الراحلين، بقوله:

فالتقائي بكم علــى شــعب الــدر ب يُعــزّي عــن اغتــراب بَنيَّــه..

حمَّلوني أقصى الذي يحمــلُ القلــ ــبُ غداةَ اختاروا الدروبَ القــصيَّه

أنــا في كــل رحلــة أتعــزَّى بالــذي يُــدخل الــسرورَ عليَّــهْ!

كدتُ أنسى من فَرحتي في ذَراكــم كلَّ بُؤْسَى قد بثهــا الــدهر فيَّــه..

---

(١) من وحي الأكباد النازحة : ٥٨.

(٢) المصدر السابق: ٥٩.

(٣) المصدر السابق: ٦٢.

أيُّ بُؤْسَـــى أشـــدّ مـــن فلَـــذاتٍ تركونـــــا في وَحـــــشةٍ وبليَّـــــه؟
حبَّـــذا الـــصبرُ بلـــسماً ودواءً لجـــــراح عميقـــــة مخفيَّـــــه [1]

ومثلهما الثلاث القصائد الأخرى "**لكنني يا أبا الأبطال معتذر**" التي قيلت في المهرجان التذكاري للبطل الإسلامي المجاهد الشهيد عمر المختار الذي انعقد سنة١٩٧٩م بمدينة بنغازي[٢] و "**لم أزل من نأيهم في وحشة**" التي قالها في تأبين صديقه الشاعر صالح جودت في القاهرة سنة ١٩٧٧م[٣] ، و "**خلوا الجراح تقرب كل من بعدوا**"، التي قالها في الحفل الذي أقيم في بغدد لتأبين الباحث الأستاذ فؤاد عباس، صيف ١٩٧٦م[٤] وتسير جميعها على الوتيرة نفسها؛ حيث تبدو لكأنما قيلت في شكوى رحيل الأولاد لا في المناسبة التي دعي إليها، ومن هنا استحقت هذه النصوص جميعها أن تأخذ محلها من الديوان المخصص لذكرى الأكباد النازحة وإن كان في ظاهرها غير ذلك .

وبمقارنة ديوان "**من وحي الأكباد النازحة**" بدواوين الشاعر الخمسة الأخرى نجد بأنه تفرد بأغلب النصوص الواردة فيه، إذ لم ترد في ديوان آخر سواه، وندَّ عن ذلك قصائد ثلاث فقط من قصائده الأربع والثلاثين، حيث وردت من قبل في دواوينه الأخرى، وبالتحديد في ديوانه "**سائر على الدرب**" أعادها الشاعر في ديوان" **من وحي الأكباد النازحة**" ولكن مع تغيير طفيف، وتعديل يسير، وتلك القصائد هي: "**الطائر المهاجر**"، و" **بنيَّ لماذا اخترتم الهجر مذهبا**"، و"**متى الملتقى؟**" وبتامل القصيدة الأولى " **الطائر المهاجر**" التي مطلعها:

---

(١) من وحي الأكباد النازحة: ٦٢ .
(٢) المصدر السابق: ٦٧-٧٠ .
(٣) المصدر السابق: ٧١-٧٣.
(٤) المصدر السابق: ٧٤-٧٦.

أَودَعْتُ بين يديكم فلذة الكبد، وقلتُ سرْ في أمان الله يا ولدي [١]

نجد أنها كتبت في القاهرة، في ديسمبر ١٩٦٧م قبيل رحيل أول أولاده النازحين نبيل بأشهر معدودة، ونجدها وردت-كذلك- في ديوان " **سائر على الدرب**"[٢]، وعدد أبياتها تسعة عشر بيتاً، والتغيير الذي لحقها في ديوان" **من وحي الأكباد النازحة**" هو:

أولا: تقديم النص في **الديوان** كان بما يلي:" أرسل الشاعر القصيدة التالية إلى الشاعر المهجري إلياس فرحات والأديب والصحافي المهجري موسى كريم صاحب مجلة الشرق البرازيلية يوصيهما بأكبر أولاده المهندس "نبيل" الذي هاجر إلى البرازيل ١٩٦٨م"[٣] ، والتقديم في ديوان "**سائر على الدرب**" ورد بصيغة مختلفة، وهي:" اعتزم المهندس نبيل نجل الشاعر الهجرة إلى البرازيل، فلما تقرر سفره أرسل الشاعر هذه القصيدة إلى صديقه الشاعر المهجري الكبير إلياس فرحات، والأديب الصحافي اللامع الأستاذ موسى كريم صاحب مجلة الشرق البرازيلية موصيا ..." [٤].

ثانيا: القصيدة مؤرخة في ديوان :"**من وحي الأكباد النازحة**" بـــ: "القاهرة- ديسمبر ١٩٦٧م"[٥] ، ومؤرخة في ديوان :"**سائر على الدرب**" بـــ: "يناير سنة ١٩٦٨م"[٦] ، والذي يبدو لي أن التاريخين متقاربان ومبرران، فالتاريخ المثبت في **الديوان** ربما هو تاريخ إنشائها في ديسمبر عندما عزم ابنه

---

(١) من وحي الإكباد النازحة: ٣.

(٢) سائر على الدرب، محمد عبد الغني حسن، دار المعـــارف، القـــاهرة، مـــصر، ط١، ١٩٧٥م: ١٣-١٤.

(٣) من وحي الأكباد النازحة: ٣.

(٤) سائر على الدرب: ١٣.

(٥) من وحي الأكباد النازحة: ٤.

(٦) سائر على الدرب: ١٤.

نبيل على السفر إلى البرازيل، وأرسلت إلى المهجريين إلياس فرحات وموسى كريم قبيل رحلة ابنه، بدليل أن ورد في ديوان "**من وحي الأكباد النازحة**" الذي أرخت فيه القصيدة بعام ١٩٦٧م التقديم بقوله " **يوصيهما بأكبر أولاده المهندس "نبيل" الذي هاجر الى البرازيل ١٩٦٨م** " ونُصَّ هنا بشكل واضح على ١٩٦٨م ، فالقصيدة ربما قيلت في آخر شهر من ١٩٦٧م وهجرة نبيل كانت في يناير مطلع ١٩٦٨م ، ومن هنا تذبذب الشاعر في تحديد تاريخها في ديوانيه بين هذين التاريخين؛ تاريخ الإنشاء وتاريخ هجرة ابنه للبرازيل .

والقصيدة الثانية هي قصيدة بعنوان: " **بَنيَّ لماذا اخترتم الهجر مذهبا؟**"، عدد أبياتها تسعة وعشرون بيتاً، ومطلعها:

أبا خالـدٍ! بـالأمس طـال تلفُّـتي إليك، وإني اليوم طـال تـرقبي! (١)

وهي رد على الشاعر المهجري إلياس فرحات الذي اعتذر في أبيات خمسة من عدم تمكنه من استقبال أبناء الشاعر محمد عبد الغني حسن النازحين إلى البرازيل، والأبيات هي:

محمد! أهلا "بالنبيـل" "وزوجـه" وصنويه... أهلا بالـشباب المهـذَّبِ
لئن كنتُ لم أذهب إلـيهم فـإنني لأذهبُ في تقديرهم كلَّ مـذهب..
أبوهم له عندي أيـادٍ، وشـيمتي نردُّ إلى الأبنـاء مـا كـان لـلأب
ولكنَّ دهـرا كبَّلـتني صـروفُه، وصالت على ضعفي بنابٍ ومخلـب
أقام قُصوري حائلا دون رغـبتي، وأوقف عجزي حائطا دونَ مـأربي..

---

(١) من وحي الأكباد النازحة: ٦، وخالد: هو أحد ولدي الشاعر إلياس فرحـات، والثـاني عاصم.

(٢) المصدر السابق، ٥.

وقد أورد الشاعر محمد عبد الغني حسن تلك الأبيات الخمسة قبل قصيدته، وعنون لها بـــ: "**من الشاعر المهجري إلياس فرحات**"، والتغيير الذي لحقها في ديوان" **من وحي الأكباد النازحة**" هو:

أولاً: بعد ذكر الأبيات الخمسة لإلياس فرحات جاء في الديوان: " فرد عليه صاحب الديوان بالقصيدة التالية: **بني لماذا اخترتم الهجر مذهبا؟**"(١)، أما في ديوان "**سائر على الدرب**" فلم يثبت الشاعر للقصيدة عنواناً كعادته، وإنما كتب في أعلى الصفحة:" **إلى الشاعر الكبير إلياس فرحات**" **ثم قدَّم بقوله:** فرد عليه الشاعر صاحب الديوان بالقصيدة التالية، وفيها وصف مؤثر لحالته، وحالة قرينته على أكبادهما النازحة المهاجرة: ..." (٢).

ثانياً: تقديم القصيدة في **الديوان** صيغته:" أرسل الشاعر المهجري الكبير إلياس فرحات إلى صديقه صاحب الديوان الأبيات الخمسة التالية يعتذر فيها من عدم تمكنه من استقبال أكباده النازحين إلى البرازيل: المهندسين نبيل، ويحيى، وهاني.."(٣)، بينما تقديمها في ديوان" **سائر على الدرب**" جاء كالآتي:" من الشاعر المهجري الكبير إلياس فرحات إلى الشاعر محمد عبدالغني حسن يعتذر من عدم تمكنه من استقبال أولاده المهاجرين بالبرازيل ، نبيل ويحيى وهاني في ديسمبر ١٩٦٨م "(٤) ، ففي صيغة **الديوان** تفصيل أكثر وتحديد أدق يتمثل في ذكر عدد أبيات إلياس فرحات، وكذا صفة أولاده المهنية" المهندسين"، وبيان صفة العلاقة بـــ "صديقه"، وفي **الديوان** سمَّى أولاده "أكباده النازحين" تناغما

(١) من وحي الأكباد النازحة: ٦.
(٢) سائر على الدرب: ١٦.
(٣) من وحي الأكباد النازحة: ٥.
(٤) سائر على الدرب: ١٥.

مع عنوانه" **من وحي الأكباد النازحة**"، بينما في "**سائر على الدرب**" سمَّاهم " أولاده المهاجرين" .

ثالثاً: في **الديوان** لم يؤرخ الشاعر للقصيدة الواردة إليه من إلياس فرحات، وإنما اكتفى بتأريخ رده عليها بقصيدة" بني لماذا اخترتم الهجر مذهبا؟"، إذ جعله في عام ١٩٦٩م [١]، بينما في ديوان "**سائر على الدرب**" نجده يؤرخ لقصيدة إلياس فرحات بـــ "ديسمبر سنة ١٩٦٨م"[٢]، ورده عليها في " ١٩٦٩م[٣]" .

والقصيدة الثالثة هي قصيدة " **متى الملتقى**"، عدد أبياتها ثمانية، ومطلعها:

جاءكَ العيـــدُ وضـــيئا مـــشرقا هانئاً، مبتسما، مؤتلقا [٤]

وردت في ديوانه:" **سائر على الدرب**"[٥]، وما لحقها من تغيير وتفاوت بين الديوانين يتمثل في تقديم النص، ففي ديوان "**سائر على الدرب**" جاء ما يفيد بأن النص قيل في ولده المهندس هاني حيث قال مقدِّما:" إلى ولدي النازح بالبرازيل المهندس هاني بمناسبة عيد ميلاده الثالث والعشرين..."[٦]، بينما في ديوان " **من وحي الأكباد النازحة**" ورد في تقديم النصّ أن القصيدة قيلت في ولده يحيى، حيث يقول:" إلى ولدي النازح بالبرازيل المهندس يحيى بمناسبة عيد ميلاده الثالث والعشرين"[٧].

والذي يبدو لي أن رواية ديوان "**سائر على الدرب**" هي الأدق، وأن القصيدة قيلت بمناسبة عيد ميلاد هاني وليس يحيى، ودليل ذلك أن القصيدة

---

(١) من وحي الأكباد النازحة: ٧.
(٢) سائر على الدرب: ١٥.
(٣) المصدر السابق: ١٨.
(٤) من وحي الأكباد النازحة: ١١.
(٥) سائر على الدرب: ١٩.
(٦) المصدر السابق: الصفحة نفسها.
(٧) من وحي الأكباد النازحة: ١١.

قيلت في عام ١٩٦٨م كما هو مثبت في نهايتها – على عادة الشاعر في التأريخ لقصائده–، وابنه هاني هو من مواليد ١٩٤٥م [١]، فعام ١٩٦٨م الذي قيلت فيه القصيدة يوافق العام الثالث والعشرين له، بينما أخوه يحيى الذي يكبره قليلاً، لا يستقيم ذلك التأريخ معه؛ إذ سيكون حينها قد تجاوز الخامسة والعشرين. وفي مطلع النص نفسه إشارة لطيفة تفيد بأن التهنئة لهاني، وذلك في كلمة "هانئاً" حيث يقول:

جاءكَ العيــدُ وضــيئا مــشرقا هانئاً، مبتسماً، مؤتلقا[٢]

وبتامل دواوين الشاعر محمد عبد الغني حسن نجد أن له نصوصا يسيره ورد فيها ذكر أبنائه النازحين لم ترد في ديوانه" **من وحي الأكباد النازحة**"، منها على سبيل المثال مقطوعة "**بلا تقديم**" التي قدم بها ديوانه " **سائر على الدرب**"، وذيلها بالتوقيع باسمه" محمد عبد الغني حسن"، ومما جاء فيها قوله:

لم أحاول تقــديم نفــسي بنفــسي أنا مُستــشفعٌ ليــومي بأمــسي...

يومَ ودَّعــتُ مــن بَــنيَّ ثلاثــاً من وراء البحار، ودَّعتُ أُنــسي [٣]

وأما قصيدته" أيها النازحون"، المثبتة في ديوانه "**سائر على الدرب**" ومطلعها:

أيهــا النــازحون والغربــاءُ هكذا هكذا يكون الوفاءُ [٤]

فهي الوحيدة –ربما – التي وردت كاملة، وندّت عن ديوان "**من وحي الأكباد النازحة**".

---

(١) وفق إفادة منه لي بذلك، حينما تصفحت الديوان معه في لقائي الأول به في ســلفادور– البرازيل، صيف ٢٠٠١م.

(٢) من وحي الأكباد النازحة: ١١.

(٣) سائر على الدرب: ٦٧.

(٤) المصدر السابق: ٦٧.

ومن القصائد التي ترددت فيها إشارات لأبنائه النازحين خارج **الديوان** قصيدة" **ما بالك اليوم**"، في ديوان "**سائر على الدرب**"[١]، ومطلعها:

يا نائياً في القلـــب مـــا يـــبرحُ ونازحاً ذكراهُ لا تبرحُ [٢]

وهي قصيدة أرسلها الشاعر لصديقه المهجري جورج صيدح، وفي تقديمها يقول:" سكت الشاعر المهجري الكبير جورج صيدح سكتة طويلة عن صديقه صاحب الديوان، فأرسل إليه نسخة من كتابه الجديد "حسن العطار"، وبعث معها الأبيات التالية التي نشرت بالأديب سنة ١٩٦٨م"[٣] وفيها ورد قوله:

وليس عدلاً صـــمتُكم بعـــد أن طار فراخي الغُيَّبُ النُّزَّحُ [٤]

وكذا قصيدة" **ياليتني كنتُ مع العُوَّاد**"، قيلت في ماريانا دعبول فاخوري، حينما أصيبت بوعكة قاسية سنة ١٩٦٩م، خرجت منها قوية صحيحة، وكتبتْ بعد الوعكة مقالا قويا زاخرا، ومطلعها:

يـــا ربـــة الكفـــاح والجهـــاد ويا لساناً ناطقا بالضاد [٥]

وفي آخرها يشيد بفضلها عليه وعلى أولاده، بقوله:

فأنت أضـــفيت علـــى أولادي بل أنت أسديت إلى أكبادي

ما يُعجزُ المرءَ عن السداد [٦]

---

(١) سائر على الدرب: ١٣٩-١٤٠.

(٢) المصدر السابق: ١٣٩.

(٣) المصدر السابق: الصفحة نفسها.

(٤) المصدر السابق: ١٤٠.

(٥) المصدر السابق: ١٤١.

(٦) المصدر السابق: ١٤٣.

كتب الشاعر مُهمِّشاً هذا البيت:" كانت السيدة الفاضلة مريانا دعبول فاخوري كثيرة العطف دائما على أولادي المغتربين بالبرازيل دائمة الرعاية لهم، والسؤال عنهم، والتحفي بهم..." (١).

وطريقته في ترتيب قصائد الديوان سارت باتجاه التصنيف الموضوعي، حيث يُتبِع القصيدة بما يشابهها في موضوعها، فالقصائد من (١-٣) تدور في فلك واحد ينتظمها، ولا تكاد تخرج عنه، وهو في وصف رحلة البنين نحو المهجر ومعاناته وزوجته والمواقف التي مرت به في رحلاته بحثاً عنهم، ومن لقي فيها، يتمثل ذلك في الأولى "**الطائر المهاجر**" " والثانية " **من الشاعر المهجري إلياس فرحات وإليه**" **بني لماذا اخترتم الهجر مذهبا؟**" وهما في التوصية بأول الراحلين من بنيه، ومراسلات المهجريين له بشأنهم، والثالثة " **سأظل أذكرها مدى عمري**" في الحديث عن أنموذج من احتفاء المهجريين به في أولى زياراته للقاء بأولاده، حيث الحفل الذي أقامته له ولقرينته الأديبة مريانا دعبول فاخوري.

والقصائد من (٤-٧) في وصف الفراق والشوق للقاء البنين، ووصف اللقاء بهم، فالرابعة "**متى الملتقى**" والخامسة "**هنا ملتقانا هنا الموعد**"، والسادسة "**هناك على الربوة العالية**" يصف فيها أول لقاء يجتمع فيه البنون الأربعة في مكان واحد بعد تفرقهم وهو "سلفادور" بالبرازيل، والسابعة " **فمصر الثراء ومصر العطاء**" قدمها بقوله:" من وحي التقاء الشاعر بأكباده الأربعة النازحين..."(٢)، ومطلعها صريح في ذلك، إذ يقول:

تَلاقَـــى الأحبَّـــةُ ... وافـــرحتي! لقـــد حقَّـــقَ الله أمنـــيتي! (٣)

---

(١) سائر على الدرب: ١٤٣.

(٢) من وحي الأكباد النازحة: ١٧.

(٣) المصدر السابق: الصفحة نفسها.

والقصائد من (٨-٩) في وصف معاناة أولاده، وما مرت بهم من آلام في مهاجرهم، فالقصيدة الثامنة "**فاضحك إلى الدنيا الجميلة**" تحكي الظروف التي مر به ابنه "يحيى"، وهي ظروف غير مواتية-كما قال الشاعر في مقدمة القصيدة - قلبت بسمته الجميلة إلى أفكار غائمة، وتحير ذاهبا أو آيبا بين الولايات المتحدة والبرازيل، وفي مُفتتَح تلك القصيدة يقول:

بـــالله يـــا يحـــيى! وفيـــك مـــشابةٌ مني، وفيـــك ملامـــحٌ مـــن عـــزَّتي!

لا تَحسَبِ الشكوى تُنيلـــكَ فائتـــا أو تستردُّك بعـــضَ شـــيء مُفلـــتِ

فاضحك إلى الدنيا الجميلة ينكشفْ لك ثغرها عن ضِحكةٍ أو بَـــسْمةِ! (١)

ومثلها القصيدة التاسعة "**مازلنا نسير**" وفيها شكوى معاناة أولاده من السير والرحلة والتطواف.

والقصائد الثلاث التالية من (١٠-١٣) خاطب بها الأحفاد، وعاتب بها الأبناء الذين حالوا بينه وبين أحفاده، فالعاشرة: "**يذوب المهاجر في أرضها**"، أهداها لحفيديه بقوله:" إلى حفيديَّ الغاليين: جميل، ونادر، المولودين في أرض الغربة"(٢)، وفيها يقول:

إذا لاحَ مـــــن نحـــــوكم شـــــيِّقٌ، فـــإني لكـــم أبـــدا أشْـــوَقُ

"جميـــــل" تَعلَّـــــق قلـــــبي بـــــه، و"نـــادرُ" قلـــبي بـــه أعْلـــق

صـــغيرين... مثـــل فـــراخ القطـــا فـــؤادي بحبليهمـــا مُوثَـــق

ويختمها بعتاب أبنائه، داعيا إياهم إلى العودة لمصر، بقوله:

فعـــودوا إلى رشْـــدكم يـــابنيَّ فـــإن الرشـــاد بكـــم أليـــق

---

(١) من وحي الأكباد النازحة: ١٩.

(٢) المصدر السابق: ٢١.

ومـــــصر أحـــــقُّ بأمجـــــادكم وأنـــــتم بأمجادهـــــا أخلـــــق [1]

والحادية عشرة: "**أفتش عن أكبدي النازحين**" تدور في فلكها، ففي مقدمتها يقول:"إلى أبنائي وحفدتي النازحين، وقد لقيتهم جميعا في أرض الغربة، وقرت العين برؤيتهم..." فهي شوق إلى الأحفاد، وعتاب للأبناء، والثانية عشرة، التي عنوانها" **يا بسمةً في جديد مبتسمي**"، هي في مناسبة مشابهة، يحيّي الشاعر فيها حفيده الجديد عمرو – الذي كان والده أحمد آنذاك في إنجلترا– ويقدمها بقوله: " رزق الشاعر بحفيده: عمرو... وقد استقبلت هضاب إنجلترة الباردة في شيفيلد أول نسمات الحياة لهذا الوليد الذي جاء بعد كبرة من سن جده الشاعر فاستقبله بالقصيدة التالية:

قد عشتُ حـــتى رأيـــتُ أحفـــادي بعد اعتساف النَّـــوى بأكبـــادي!

رأيـــــتُ فـــــيهم حبـــــاليَ اتَّـــــصلتْ بوالدي راحلاً، وأجـــدادي [2]

والقصيدتان التاليتان (١٣-١٤) هما في موضوع واحد يجمعهما، تصفان احتفالين أقامهما المهجريون له، من ضمن ما أقاموه له ولقرينته من احتفالات أثناء رحلاته المتكررة للقاء بأبنائه في البرازيل، فالثالثة عشرة "**الخالدان تلاقيا**" يصف فيها الحفل الذي أقامه أدباء المهجر وشعراؤه في نادي جبل لبنان بمدينة سان باولو لتوديعه بمناسبة عودته إلى مصر بعد زيارة أكباده النازحين، ومطلعها:

أأنـــا هنـــا في مـــصرَ أم بالـــشام؟ المجد خلفي، والخلـــود أمـــامي [3]

---

(١) من وحي أكبادى النازحين: ٢٢.

(٢) المصدر السابق: ٢٥.

(٣) المصدر السابق: ٢٧.

والرابعة عشرة " **لقاء على أرض الغربة**" قالها في الحفل الذي أقيم له في ساوباولو سنة ١٩٧٥م، وفيها يقول مخاطبا المحتفلين:

جئـــتُ والأعيـــاد فـــيكم تتـــوالى لأرى العـــزَّة فـــيكم والجـــلالا

وأرى بيـــــــنكُمُ أفلاذَنـــــــا يتحـــدَّون علـــى الأرض الجبـــالا

خرجوا من "مصرَ" مُذْ ضاقت بهـــم وادياً خصباً، وسهلاً، ورمـــالا (١)

بينما تنزع القصائد الأربع (١٥-١٨) نحو التأمل في السفر والرحلة، والحياة وأقدارها، فالخامسة عشرة "**السنجاب الحائر**"، والسادسة عشرة "**خلف البنين النازحين**" والسابعة عشرة "**ماضر لو كنا التقطنا حكمة**" والثامنة عشرة "**أفكار في مساء العمر**" ، نجدها جميعا توالت ممثلة موضوعاً واحداً، لاتكاد تخرج عنه، ولعل قصيدة "**السنجاب الحائر**" خير شاهد على ذلك إذ يقول في مقدمتها:" رأى الشاعر في غابة من غابات نيوجرسي الأمريكية سنجابا حائرا يتنقل بين الغصون، والروح غاديا رائحا على غير هدى ...فذكره هذا بخطوات الحائرين على درب الغربة الطويل"(٢)، ومن مطالعها جميعا يظهر التشابه الكبير في دلالاتها الموضوعية التي أهلتها لتأتي في الديوان تباعا بعضها في إثر بعض، فمطلع قصيدة "**السنجاب الحائر**" هو:

أيها الحائر في الغاب! أَمَـــا لك في الغاب على الـــدرب دليـــلْ؟ (٣)

ومطلع " **خلف البنين النازحين**":

الأرض ملأى باللـــهيب المـــستعرْ وأنت لاهٍ في الـــسماء يـــا قمـــرْ(٤)

---

(١) من وحي الأكباد النازحة: ٢٩.

(٢) المصدر السابق: ٣١.

(٣) المصدر السابق: الصفحة نفسها.

(٤) المصدر السابق: ٣٢.

و"**ماضر لو كنا التقطنا حكمة**" كذلك تقديما ومطلعا، إذ قدمها بقوله:" في خلال زيارة الشاعر لأكباده النازحة في الولايات المتحدة الأمريكية بلغ من العمر خمسة وسبعين عاما. فأخذ يناجي ذكريات العمر وقد أدرك غرور الحياة"، وفي مطلعها يقول:

العمر ولّى ... والمتـــاعُ والطَّـــربْ، وأكَلَ الزمانُ منـــا وشـــربْ (١)

و"**أفكار في مساء العمر**"، تأملية بامتياز من أولها إلى آخرها، ومطلعها:

الـــــشمسُ ترنـــــو للمغيـــــبِ والعمـــرُ يَجـــنح للغـــروبِ (٢)

والقصيدتان (١٩-٢٠) في شكر وثناء لمهجريين مخصوصين بأعيانهم أسدوا إليه جميلا خاصا، فالتاسعة عشرة "**تحت أفياء عبقر**"، التي مطلعها:

يا مَن بدأتَ مـــسبِّقًا بحفـــاوتي، إن التخلُّف عـــن نـــداك عقـــوق! (٣)

كانت في شكر الشاعر المهجري شفيق معلوف الذي أقام له ولقرينته في نادي زحلة بساوباولو مأدبة غداء حافلة، ومثلها العشرون" **كم أرقنا من أجلهم**" نظمها الشاعر حين زاره الأديبان فيليب لطف الله وماريانا دعبول فاخوري في منزل ولده المهندس "يحيي" بمدينة ساوباولو بالبرازيل عام ١٩٧٥م (٤).

وعلى هذا المنوال في ترتيب الديوان سارت القصائد الأربع عشرة التالية، تتلو القصيدة شبيهتها، ويقفو النص نظيره، فالقصائد الثلاث (٢١-٢٣) " **عربية غريبة اللسان**"، و "**في بيت أكبادي حللت**"، و"**وأقول لو كان البنون بجانبي**"، يشملها موضوع واحد وهو شكوى الألم وتشظي الذات.

---

(١) من وحى الأكباد النازحة: ٣٤.

(٢) المصدر السابق: ٣٦.

(٣) المصدر السابق: ٣٨.

(٤) المصدر السابق: ٤٠.

والقصيدتان (٢٤-٢٥) وهما " **ليس لي حيلة**" و "**عاد الشباب إليَّ**" في صديقه المهجري فيليب لطف الله، فالأولى منهما كانت إثر إهداء الشاعر المهجري فيليب لطف الله نسخة من ديوانه (حصاد الأيام) إلى الشاعر وهو يكابد جراحة استئصال المرارة بمستشفى ساوكاميليو بالبرازيل، فأثارت الزيارة والهدية القصيدة كما ذكر ذلك الشاعر في تقدمته، ومطلعها:

يا حَـصادَ الأيـام جئـتَ بـنَفح من أنيق البيان،حلو العباره[1]

والثانية منهما "**عاد الشباب إليَّ**" -أيضا- كانت- كذلك- في فيليب لطف الله، قيلت في المأدبة التي أقامها تكريماً للشاعر في نادي جبل لبنان بسان باولو، بمناسبة زيارته لأكباده النازحين لأول مرة، وهي من روائع إخوانياته، ومطلعها:

أضـفَى علـيَّ اللهُ كـلَّ صـنيعة مـا أشـيدُ بقَـدره، وأبـاهي...

وفيها يشيد بفيليب لطف الله، بقوله:

أُصغِي إلى أشعار "عبقر" عنـدكم يـشدو بـلا شـفتين.. أو بـشفاه!

وأكاد أسمعُ كـلَّ همـسة شـاعر في ليلـهِ، أو في ضـحاه البـاهي..

إني أنا المحظـوظُ حـين رأيـتكم مـن ذا يـشابهني هنـا ويـضاهي؟

فلقيتُ في الآفاق لطـف أحـبتي إلا هنا... فلقيـتُ (لطـف الله)!! [2]

والقصيدتان(٢٦-٢٧) وهما "**على شلالات فوس ديجواسو**" و"**شكرا لأبنائي الذين تغربوا**" كانتا في الأخوين المهجريين إلياس قنصل وزكي قنصل، فالأولى "**على شلالات فوس ديجواسو**" اعتذار من إلياس ، من عدم تمكنه من

(١) من وحى الأكباد النازحة : ٤٩.

(٢) المصدر السابق: ٥٢.

زيارته في الأرجنتين بعد ما كان قد وعده بزورة، إذ حالت الشلالات بينهما، يقول الشاعر:" عَبَر الشاعر حدود البرازيل ليشهد شلالات فوس ديجواسو الرائعة التي تفوق شلالات نياجرا، وكان في نيته أن يزور صديقه الشاعر المهجري إلياس قنصل في بونس إيرس عاصمة الأرجنتين ...ولكن خاف طول الطريق، فعاد إلى أكباده بسان باولو، واعتذر لصديقه بالقصيدة التالية ، ومطلعها:

أنا منكَ في كَنَـــف الـــصديق الحـــاني، أحيَا بظلِّ الـــشاعر الإنـــسانِ"[1]

والثانية "**شكرا لأبنائي الذين تغربوا**" رد على إهداء زكي قنصل له ديوانه "عطش وجوع"، برفقة أبيات رقيقة، ومطلع قصيدة محمد عبد الغني حسن:

"عَطَشٌ وجوع" جاءني بذخيرة أقتَاتُ منها ما أشاء، وأستقي [2]

أما القصيدتان (٢٨-٢٩) فقيلتا في محافل غير مهجرية، ومناسبات عربية عامة، فالثامنة والعشرون "**جئت في موكب من الخلد ضاف**" ألقيت في مهرجان الحضارة العربية الإسلامية المنعقد بدمشق ١٩٨١م بمناسبة مرور أربعة عشر قرنا على الهجرة، والتاسعة والعشرون" **بعثتني خمائل النيل طيراً**" ألقاها في مهرجان رسمي شعبي كبير أقيم بمدينة (المهدية) بتونس، احتفالا بالتوأمة بين المدينتين: القاهرة والمهدية.

والقصائد (٣٠-٣٤) قيلت في التأبين والرثاء، فالثلاثون "**يوم زرنا فراخنا**" وفيها يحاكي الشاعر مناجاة الأديبة ماريانا دعبول فاخوري- صاحبة "مجلة المراحل" بالبرازيل- زوجها الذي فقدته منذ ثلاثين عاما، وقد ترجم الشاعر هذه المناجاة إلى مقطوعة شعرية، وأعقبها بمقطوعة يناجي بها صاحبة المراحل، والحادية والثلاثون " **لكنني يا أبا الأبطال معتذرٌ**" قيلت في المهرجان التذكاري

(١) من وحى الأكباد النازحة : ٥٣.

(٢) المصدر السابق: ٥٦.

لتأبين البطل الإسلامي الشهيد عمر المختار الذي انعقد بمدينة بنغاري، والثانية والثلاثون" **لم أزل من نأيهم في وحشة**" كانت في تأبين الشاعر صديقه صالح جودت، ومن يبصر عنوان هذه القصيدة من أول وهلة يشعر بأنها كأنما لم تقل في غير أولاده، إذ بدأها بالتأبين ثم انتقل للحديث عن قضيته الكبرى، ومثلها الثالثة والثلاثون "**خلوا الجراح تقرب كل من بعدوا**" ألقاها في بغداد صيف ١٩٧٦م في حفل تأبين الباحث فؤاد عباس، وآخر قصائد الديوان وهي الرابعة والثلاثون" **وكنت بَرّا بأكبادي**" نظمت في تأبين شفيق معلوف، وفي تقديمها يقول الشاعر:" كان الشاعر المهجري شفيق المعلوف كثير البر والسؤال عن أبنائي المغتربين في البرازيل، فلما مات نظمت هذه القصيدة التي ألقيت في حفل تأبينه"، وهي أروع قصائد هذه المجموعة، ومما جاء في أولها:

من لي بموهبةٍ كبرى كموهبَتكْ؟ حتى أُحلّقَ في شـــعري بأجنِحَتـــكْ؟!

إني نظمتُ لك الأمداحَ صادقة، فهل أطيقُ هنـــا نظمـــا لمرثيتِـــكْ؟ (١)

وهكذا نجده يعمد في سائر ديوانه إلى ترتيب قصائده ترتيباً منطقياً دقيقاً وفق الموضوعات، ونصوصه جميعها، مهما تنوعت موضوعاتها لا تخلو من ذكر أبنائه النازحين، سواء أكانت القصيدة من أولها إلى آخرها فيهم، أو جاء ذكرهم عرضا.

المبحث الثاني: عتبات النص ودلالاتها الرحلية:

ومما مرّ طرحه في توثيق النص وطريقة عرضه في الصفحات السابقة يتضح لنا أن شاعرنا يدرك في خططه الطرازية أهمية العتبات، إذ قد أولاها عناية فائقة، وفق ما توافقت عليه الدراسات الحديثة؛ كما عند "جيرار جينيت"،

(١) من وحى الأكباد النازحة: ٧٧

و"كلود دوشيه" و"فيليب هامون" و"تودوروف" و"بارت" و"باختين" وغيرهم[١]، إذ تحتل العتبات وفي مقدمتها العنوان مكاناً ذا قيمة عالية، وأضحى يطلق عليها بمجموعها "**النص الموازي**" لدى كثير من الدارسين، ويقصد به: العلامات النصية المحيطة بالمتن، "وجينيت في بدايات تنظيره للعتبات عدَّ المتعاليات النصية موضوعاً أصيلا في الشعرية، مثلما أن النص هو موضوع النقد الأدبي [٢].

وعناصر النص الموازي عند جل الدارسين تتمحور في العنوان ، والعنوان الفرعي، والعناوين الداخلية، والمقدمات، والتذييلات، والتنبيهات، والهوامش الجانبية، والحواشي السفلية، والعبارات التوجيهية، والملاحق والزخرفة، والرسوم المصاحبة[٣]، بينما يذهب جينيت في كتابه "عتبات" إلى تصنيف النص الموازي إلى قسمين: **أولهما: النص المصاحب** : ويشمل النصوص الموازية المرتبطة ارتباطاً مباشراً بالمتن، أو الكتاب أو النص، مثل العنوان والمقدمة، واسم المؤلف، والحواشي، والرسوم، و**ثانيهما: النص المحيط:** ويشمل النصوص الموجودة خارج المتن أو الكتاب أو النص، والمتعلقة به، مثل القراءات والتعليقات، والشهادات والاستجوابات وغيرها[٤].

---

(1) انظر : في شعرية الفاتحة النصية،(مقالة) ، جليلة الطريطر، مجلة علامات في النقد، النادي الأدبي بجدة، جمادى الأولى ١٤١٩هـ، المجلد ٨، الجزء ٢٩: ١٤٤.

(٢) انظر: الخطاب الموازي للقصيدة العربية المعاصرة، نبيل منصر، دار توبقال، الدار البيضاء، ط ١، ٢٠٠٧م :١٧-٢٢.

(٣) انظر: المرجع السابق:٢٧، والسيميوطيقيا والعنونة، جميل حمداوي، مجلة عالم الفكر، الكويت، المجلد ٢٥، العدد ٣، يناير-مارس،١٩٩٧م:١٠١-١٠٢.

(٤) انظر: عتبات: ج. جينيت من النص إلى المناص، لعبدالحق بلعابد، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط١، ٢٠٠٨م: ١٦-٣٢.

وتوافق كثيرون على أن "الوظيفة الأساسية لهذه العناصر الموازية والمصاحبة للنص، هي: حماية المتن من التحريف والتزييف، وحفظ حقوق المؤلف، ثم تأتي بعد ذلك الوظائف الأخرى لها؛ كالإحالة، والتعبير، والتوجيه، والإشهار، وهذا يعني أن لهذه العتبات المصاحبة خصائص ووظائف تختلف عن خصائص المتن النصي ووظائفه"(١)، وهو ما سنراه في الحديث التالي عن عناوين القصائد ومقدماتها وكذا التذييل الذي التزمه الشاعر في خواتيم نصوصه محددا مكان كتابة النص وزمانه.

فإذا تأملنا طراز نصوص ديوان "**من وحي الأكباد النازحة**" نجد أن الشاعر قد اتخذ خطاً قاراً التزم به في سائر نصوصه، يتمثل في اهتمامه الكبير بعنونة قصائده، والتأنق فيها؛ موقناً بأن العنوان عتبة مهمة من عتبات النص، وأنه المدخل الأسلس إليه، بل هو المفتاح الذي يلج به القارئ، بما يتسم به من تكثيف واختصار، وارتباط وثيق برؤيته وأسراره، حتى ليغدو على قصره ممثلا للنص بأكمله، واهتمام شاعرنا يمضي في الاتجاه السائد في العصر الحديث عموما ، وقد أشار عبدالله الرشيد إلى أن سبب العناية به تعود إلى: "تحول المتلقي من مستمع في محفل إلى قارئ في مكتبة"(٢) ، وتلك العنونة في "**من وحي الأكباد النازحة**"، تبرز فيها سمتان كبيرتان، أولاهما : أنها انطلقت من داخل النصوص لا من خارجها؛ وثانيتهما : أنها لا تكاد تجانب عنوان الديوان ومقاصده الكبرى، المتمثلة في ذكر الأكباد النازحة والرحلة خلف الراحلين.

---

(١) إغواء العتبة: عنوان القصيدة وأسئلة النقد، سامي العجلان، نادي أبها الأدبي، أبها، ومؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ط١، ٢٠١٥م:٤١، وانظر تفصيل خصائص العتبات ووظائفها في: عتبات النص: بحث في التراث العربي والخطاب النقدي المعاصر، يوسف الإدريسي، منشورات مقاربات، المغرب، ط١، ٢٠٠٨م:١٦-٤٢.

(٢) مدخل إلى دراسة العنوان في الشعر السعودي، عبد الله بن سليم الرشيد، نادي القصيم الأدبي، بريدة، ط١، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م:١١.

فأما انطلاقها من داخل النصوص فيتمثل في ما نلحظه من أن تلك العناوين دوما ما تكون متصلة بالنص، إما اتصالا ملفوظا وهو الأكثر، أو اتصالا ملحوظا وهو الأقل، فالعنوان بنية تولد كثيرا من دلالات النص، لذا فإن العنوان والنص "يشكلان بنية معادلية كبرى: العنوان/النص"(١)، أو كما يقول محمد مفتاح واصفا العنوان بأنه:" المحور الذي يتوالد ويتنامى ويعيد إنتاج نفسه ... فهو – إن صحت المشابهة – بمثابة الرأس للجسد"(٢) فمن الاتصال الملفوظ للعنوان بالنص ورود كثير من العنوانات قادمة من المتن ذاته؛ ممثلة شطر بيت أو جزء من شطر بيت، وهذا يمثله تقريبا تسعٌ وعشرون قصيدة؛ أحيانا يكون العنوان بأكمله وارداً في النص، ومن الأمثلة على ذلك القصيدة الثانية في الديوان" **بنيَّ لماذا اخترتم الهجر مذهباً؟**"، فهذا العنوان تضمنه الشطر الأول كاملا من البيت السابع عشر، في قوله:

بَنِيَّ! لماذا اخترتمُ الهجرَ مَذهباً، وجرَّبتُمُ فينا الذي لم يُجرَّب؟ (٣)

ومثلها في أخذ عنوان القصيدة من شطر بيت بأكمله، القصائد: " **سأظل أذكرها مدى عمري**"(٤)، و"**هنا ملتقانا هنا الموعد**"(٥)، و" **هناك على الربوة العالية**"(٦)، و" **فمصر الثراء ومصر العطاء**"(٧)، و"**يذوب المهاجر في أرضها**"(٨)، و" **أفتش عن أكبدي النازحين**"(١)، و" **يا بسمة في جديد مبتسمي**" (٢)، و" **ماضر**

(١) السيميوطيقيا والعنونة، جميل حمداوي: ١٠٦.
(٢) دينامية النص (تنظير وإيجاز)، محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٨٧م:٧٢.
(٣) من وحي الأكباد النازحة: ٧.
(٤) المصدر السابق: ٨.
(٥) المصدر السابق: ١٢.
(٦) المصدر السابق: ٥.
(٧) المصدر السابق: ١٧.
(٨) المصدر السابق: ٢١.

[٢]، و" **ماضر لوكنا التقطنا حكمة**" [٣]، و" **أقول لو كان البنون بجانبي**"[٤]، و" **شكراً لأبنائي الذين تغربوا**"[٥]، و" **جئت في موكب من الخلد ضاف**" [٦]، و" **بعثتني خمائل النيل طيراً**"[٧]، و" **لكنني يا أبا الأبطال معتذرٌ**"[٨] و" **لم أزل من نأيهم في وحشة**"[٩]، وآخرها قصيدة:" **خلّوا الجراح تقرب كل من بعدوا**"[١٠].

وأحيانا يأخذ العنوان حيّزاً كبيرا من شطر البيت، ومن ذلك القصيدة التي عنوانها: "**فاضحك إلى الدنيا الجميلة**"، حيث أُخذ العنوان من قوله فيها:

فاضحك إلى الدنيا الجميلة ينكشفْ لك ثغرها عن ضِحكةٍ أو بَسْمةِ! [١١]

ومثلها:" **الخالدان تلاقيا**"[١٢]، و"**خلف البنين النازحين**"[١٣]، و" **كم أرقنا من أجلهم**"[١٤] و"**ليس لي حيلة**"[١٥] و"**عاد الشباب إليَّ**"[١٦]، و"**يوم زرنا فراخنا**"[١٧] و" **كنتَ برًا بأكبادي**"[١٨].

---

(١) من وحى الأكباد النازحة : ٢٣.
(٢) المصدر السابق: ٢٥.
(٣) المصدر السابق: ٣٤.
(٤) المصدر السابق: ٤٧.
(٥) المصدر السابق: ٥٦.
(٦) المصدر السابق: ٥٨.
(٧) المصدر السابق: ٦٢.
(٨) المصدر السابق: ٦٧.
(٩) المصدر السابق: ٧١.
(١٠) المصدر السابق: ٧٤.
(١١) المصدر السابق :١٩.
(١٢) المصدر السابق: ٢٧.
(١٣) المصدر السابق: ٣٢.
(١٤) المصدر السابق: ٤٠.
(١٥) المصدر السابق: ٤٩.
(١٦) المصدر السابق: ٥١
(١٧) المصدر السابق: ٦٥.
(١٨) المصدر السابق: ٧٧.

وأحيانا يرد في النص بعض العنوان- كلمة أو كلمتان- مقرونا بما يدل عليه، وعدد هذا النوع قليل مقارنة بالنوع الذي سبقه، إذ ورد في (ثلاث قصائد) منها عنوان أول قصيدة في الديوان " **الطائر المهاجر**"، وفيها يقول:

الحَبُّ في عُشِّهِ... والماء في فمه، لكنه هائم كالطائر الغرِدِ[1]

ومثله قصيدته التأملية " **السنجاب الحائر**"، حيث ترددت جملة "أيها الحائر" في النص أكثر من مرة، من مثل قوله:

أيها الحائر في الغـــاب! أَمَـــا لك في الغاب على الـــدرب دليـــلْ؟

وقوله:

أيها الحائرُ مـــن فـــرعٍ إلى صـــنوِه بـــين طلـــوع ونـــزول [2]

وشبيه بها قصيدته" **على شلالات فوس ديجواسو**" [3].

أما النوع الثاني وهو ورود العنوان متصلا بالنص بملخصه الملحوظ وليس بلفظه المنطوق، فنجده في ثلاث من قصائد الديوان فقط، وهذه القصائد الثلاث خرجت عن السياق السابق الذي دأب عليه شاعرنا، وهذا السبيل يمتاز بالعمق في نظر النقاد؛ لأنه مبني على التأمل الكلي في القصيدة لاستخلاص العنوان المعبر عن رؤيتها الشاملة، دون التقيد بألفاظ أو عبارات محددة فيها[4]، فمن هذه القصائد الثلاث قصيدة " **لقاء على أرض الغربة**"، التي مطلعها:

---

(١) من وحى الأكباد النازحة : ٣.
(٢) المصدر السابق: ٣١.
(٣) المصدر السابق: ٥٣.
(٤) انظر: العنوان في النص الشعري الحديث في المملكة العربية السعودية: دراسة وصفية تحليلية، حمدان الحارثي، رسالة ماجستير بكلية اللغة العربية في جامعة أم القرى، مكة، ١٤٢٨هـ /٢٠٠٧م:١٢٠ نقلا عن إغواء العتبة، عنوان القصيدة وأسئلة النقد، سامي العجلان:٦١٨

جئتُ والأعيـــاد فـــيكم تتـــوالى لأرى العـــزَّة فـــيكم والجـــلالا[1]

لا نجد فيها أي إشارة للعنوان في المتن، ولكن النص من أوله إلى آخره يدور حول مناسبته التي قدمها الشاعر بقوله:" احتفلت الجالية العربية في سان باولو بالشاعر في خلال زيارة لأكباده النازحة، فألقى القصيدة الآتية في إحدى حفلات تكريمه"[2]، ومثلها القصيدتان:" **أفكار في مساء العمر**"[3] و" **عربية غريبة اللسان**"[4]، فهذه النصوص نجد أن العنوان متصلٌ فيها بالمناسبة لا بالمتن بشكل واضح وجلي.

وأما أنها لا تكاد تجانب عنوان الديوان ومقاصده الكبرى فهذا لاتخطئه العين، فحديث الرحلة فيها ظاهر، واتصالها بالسفر غير خاف، فالديوان عنوانه" **من وحي الأكباد النازحة**"، فكلمتا" **الأكباد**" و"**النازحة**" هما مؤشرا المقصدية الرئيسة للديوان، فالأكباد تسير باتجاه البنين الراحلين، والنازحة تسير باتجاه الحل والرحيل وما يتصل بهما من إقامة وظعن، ولقاء ووداع، وهجرة ورجوع.

فلفظة "**الأكباد**" **ومدلولاتها**؛ ذكرا أو إضمارا في عنوان الديوان نجدها متمثلة في عدد من النصوص، منها: القصيدة الثالثة " **بني** لماذا اخترتم الهجر مذهبا؟"، والقصيدة الحادية عشرة "أفتش عن **أكبدي** النازحين"، والسادسة عشرة" خلف **البنين** النازحين" والضميرُ العائد إلى البنين في القصيدة العشرين " كم أرقنا من **أجلهم**"، والثانية والعشرون" في بيت **أكبادي** حللت"، والثالثة والعشرون" وأقول لو كان **البنون** بجانبي"، والسابعة والعشرون" شكرا **لأبنائي**

(١) من وحي الأكباد النازحة: ٢٩.
(٢) المصدر السابق: الصفحة نفسها.
(٣) المصدر السابق: ٣٦.
(٤) المصدر السابق: ٤٢.

الذين تغربوا" ودلالة الفراخ على البنين في القصيدة الثلاثين "يوم زرنا **فراخنا**" و" لم أزل من **نأيهم** في وحشة"، و" كنتَ برًّا **بأكبادي**".

ولفظة "**النازحة**" وما يتصل بها من حلٍّ ورحيل، وهجرة ومهجر واغتراب وفراق، نجدها قد عُنونتْ بها قصائدُ عديدة، ومنها: القصيدة الثالثة " بني لماذا اخترتم **الهجر** مذهبا؟"، والقصيدة العاشرة" يذوب **المهاجر** في أرضها"، والقصيدة الحادية عشرة "أفتش عن أكبدي **النازحين**"، والقصيدة الرابعة عشرة" لقاء على أرض **الغربة**"، والقصيدة السادسة عشرة" خلف البنين **النازحين**"، والثانية والعشرون" في بيت أكبادي **حللت**"، والسابعة والعشرون" شكرا لأبنائي الذين **تغربوا**"، "يوم **زرنا** فراخنا"، و "لم أزل من **نأيهم** في وحشة".

ونلمح في ارتباط عناوين قصائده بالنص أن جل العناوين متصلة بصدر الأبيات وقليل منها ورد في أعجازها، فما ورد متصلا بالصدور جاء في ستٍّ وعشرين قصيدة، وماورد متصلا بالأعجاز جاء في قصيدتين فقط، هما: القصيدة الثالثة "**سأظل أذكرها مدى عمري**"، والقصيدة الثالثة والثلاثين "**خلوا الجراح تقرِّب كل من بعدوا**" وما ورد في مطالع القصائد جاء في ثلاث قصائد: هي القصيدة السادسة" **هناك على الربوة العالية**"، وفي مطلعها يقول:

هنـــاك علـــى الربـــوة العاليـــه، رقـــدتُ أهدهـــد أجفانيـــهْ (١)

والقصيدة التاسعة "**مازلنا نسير**"، مطلعها:

نحن قد سرنا ... وما زلنـــا نـــسيرْ، رغم ما في الدَّرب من بعض الصخورْ (٢)

وآخرها القصيدة الثالثة والثلاثون "**خلوا الجراح تقرب كل من بعدوا**"، التي مطلعها:

---

(١) من وحى الأكباد النازحة :١٥.

(٢) المصدر السابق: ٢٠.

قد دانتِ الأرضُ لي، وانقادَ لي الأمدُ، خلّوا الجراحَ تقرِّبْ كلَّ من بَعُــدوا [1]

ولعلي أشير هنا إلى أن العناوين الواردة في المطالع قد لقيت اهتماما لافتاً وعنايةً واضحة من كثير من الدارسين والنقاد المعاصرين، إذ عدوا هذه عتبة ذات قيمة لايمكن تجاوزها أو إغفالها، فالعنوان المكثف، يتلوه المطلع محملا بالجملة ذاتها سيتركان ولا شك آثاراً عميقة لدى المتلقي طيلة اتصاله بالنص، وفي هذا يقول أندري دي لانجو:" إن ارتباط عنوان القصيدة بفاتحتها هو ارتباط متوقع؛ لقرب موقعيهما، واشتراكهما في عدد من الوظائف المتشابهة، كتقديم النص، وكشف دلالاته، وجذب المتلقي إليه"[2]، ودار النقاش بينهم حول مباشرة العنوان وروده في فاتحة النص وتجلياته الإبداعية، فعده بعضه نسقاً تقليديا[3]، ورأى آخرون أن فاتحة النص خير تتمة للعنوان، ومنهم سامي العجلان ؛ حيث يقول مبينا تلك الوظيفة المهمة:" فإذا كانت فاتحة النص هي أشد أجزائه اتصالاً بما قبل الكتابة، وتأثراً باللحظات الأولى للإبداع؛ فإن ارتباط العنوان بالفاتحة يعني: أنه يعبر عن الدفقة الإبداعية الأولى في تكوين القصيدة، أكثر مما يعبر عن البؤرة العميقة لها..." [4] ، ولذا فعندما أراد شاعرنا أن يعنون للقصيدة السادسة "**هناك على الربوة العالية**"، عمد إلى مطلعها:

---

(١) المصدر السابق: ٧٤.

(٢) في إنشائية الفواتح النصية، أندري دي لانجو، ترجمة سعاد نبيغ، مجلة نوافذ، ع ١٠، شعبان ١٤٢٠هـ/ ديسمبر ١٩٩٩م:٣٧.

(٣) انظر: سيميائية القصيدة، عابرون في كلام عابر لمحمود درويش نموذجاً، أحمد علي محمد، مجلة علامات، مج ١٨، ع ٧٠، شعبان ١٤٣٠هـ/أغسطس ٢٠٠٩م: ١٣٢

(٤) إغواء العتبة: عنوان القصيدة وأسئلة النقد، سامي العجلان: ٦٢١.، وانظر: من النص إلى العنوان (مقالة)، محمد بوعزة، مجلة علامات في النقد، النادي الأدبي بجدة، المجلد ١٤، الجزء ٥٣، رجب ١٤٢٥هـ/سبتمبر ٢٠٠٤م:٤١٢.

هنـــاك علـــى الربـــوة العاليـــه، رقـــدتُ أهدهـــد أجفانيـــهْ [1]

واستل العنوان منه، إذ العنوان في أغلب الظن يتلو لحظات الإبداع الأولى، تلك التي يتكون النص فيها بمطلعه وتحدث ولادته، بعيدا عن أي تفكير في عنونة أو ختام، والمبدع هو الذي يشعر بصعوبة وضع البداية وتأسيسها؛ فهي لحظة حرجة دقيقة تؤسس لشرعية النص وطرافته، تكتنفها من جهة تخوفات منتج النص ومعاناته الإبداعية، ومن وجهة أخرى ما قد يتوقعه من أحكام مختلفة يصدرها القارئ على عمله تتراوح ما بين التنويه والإعجاب أو الإعراض والازورار [2].

ولم يكن اهتمام محمد عبد الغني حسن بربط عناوين نصوصه بخواتيمها بأقل من اهتمامه بربطها بمطالعها، إذ نجده يعمد إلى استلال العنوان أحيانا من البيت الخاتم للنص، والنقاد يقولون: إن ارتباط العنوان بالخاتمة مبني على تأجيل معناه، وتسويف دلالته، حتى مقاربة الفراغ من القصيدة [3]، بل يرى الناقد ليو هوك:" أن النهاية حاسمة في تحديد مدلول العنوان"[4]، نجد هذا ظاهراً لدى الشاعر محمد عبد الغني حسن في عدد من النصوص، كقصيدته الرابعة التي عنوانها" **متى الملتقى**" كان ختامها بقوله:

وقضى اللهُ لنـــا أن نلتقـــي ، ومـــتى يافلـــذاتي الملتقـــى؟ [5]

---

(١) من وحي الأكباد النازحة: ١٥.

(٢) في شعرية الفاتحة النصية، (مقالة)، جليلة الطريطر:١٤٩ بتصرف.

(٣) انظر: عتبات النص: المفهوم والموقعية والوظائف، مصطفى سلوي، منشورات كليـــة الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة محمد الأول، وجدة، المغرب،٢٠٠٣م:٢٦٦-٢٧٤.

(٤) ما تبقى لكم، العنوان والدلالات(مقالة)، حـــسين خمـــري، مجلـــة الموقـــف الأدبـــي، ع٢١٥،٢١٦، آذار-نيسان،١٩٨٩م:٧٧.

(٥) من وحي الأكباد النازحة: ١١.

فالشاعر هنا اجتز العنوان من كلمات الشطر الأخير من الخاتمة، وهو سؤاله لأبنائه النازحين متى الملتقى، ولن يكون هناك عنوان أليق بهذا النص وحمولاته النفسية ودلالاته العاطفية منه، إذ يظل النص مفتوحا على السؤال ذاته من عنوانه إلى خاتمته، وبهما أي العنوان والخاتمة يظل النص مفتوحا للإجابات، ومهيأً للتوقعات، لينشغل أبناؤه والقراء بعوالم الإجابة، وإبداع هذا اللون من الخواتيم يتمثل في أن النصوص الجيدة لها بدايات، لكن ليس لها نهايات، بل خواتم تُغلق النص، ولا تنجح أبدا في إغلاق اشتغاله في نفوس القراء [١].

وعلى منوالها القصيدة الخامسة التي عنوانها" **هنا ملتقانا... هنا الموعد**" نجده يعمد إلى خلاصتها المركزة في خاتمتها، فيصطفيها عنواناً، ولو نظرنا لمقطع الخاتمة بأكمله على افتراض أن بعض النقاد يعني بالخاتمة مجمل نهاية النص، وليس بالضرورة أن تكون الخاتمة بيتاً واحداً، بل قد تكون مقطعا من أبيات، يمكننا إدراكها وتلمسها عندما تتغير نبرة الخطاب، أو زمنه، أو عندما يعيد الشاعر إجمال ما سبق قوله، ومن خلاله نتمكن من وضع حدود إطار النص وانغلاقه على ذاته، بما هو بنية لها خصوصيتها التي تميزها عن البنى الأخرى[٢]، فمقطع الختام في هذه القصيدة لا يمكن فصل أجزائه، بل هو إطار مكون من أبيات تحمل نفسا متصلا، إذ يقول:

بنيَّ: لكم وحشةٌ في الفؤاد وفيه لفرقتكم موقد!
ولي في الطريق لكم موقفٌ يطيب السرى فيه أو يحمد

---

(١) انظر: عتبات النص الأدبي: بحث نظري، حميد لحمداني، مجلة علامات في النقد، النادي الأدبي بجدة، المجلد ١٢، الجزء ٤٦، شوال ١٤٢٣هـ/ ديسمبر ٢٠٠٢م:٣٢.

(٢) انظر: نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال، حسين خمري، الدار العربية للعلوم ناشرون- منشورات الاختلاف، الجزائر، ط١، ٢٠٠٧م:١٢٥.

إذا مـــا التقيـــتُ بكـــم مـــرةً أرى النـــار في كبـــدي تـــبرد!

فـــأغفرُ للـــدهر سَـــوْآتِه، وأركـــعُ لله أو أســـجدُ

وأهتـــفُ مـــن فـــوق أرض النـــوى: هنا ملتقانا!... هنـــا الموعـــد! (١)

فبدْأً من جملة النداء "بنيَّ " في البيت الأول من المقطع إلى قوله:" هنا ملتقانا... هنا الموعد" نجد النهاية كيانا متكاملا، يُفتَحُ من جملة النداء ولا يُغلق إلا مع جملة هنا الموعد، ولذا عمد الشاعر إلى النقطة المفصلية أو الدفقة المشاعرية الحقيقية؛ ليجعلها عنوانا يجمل روح المقطع كاملا، فكان العنوان "هنا ملتقانا ... هنا الموعد" المحور أو البؤرة التي تتجمع حولها أو فيها معظم عناصر القصيدة.

وكما اعتنى محمد عبد الغني حسن بعناوين قصائده فإنه اعتنى كذلك بمقدماتها عناية ملحوظة، وقد تضمنت مقدماته النثرية التالية لعناوين نصوصه إشارات مهمة، أسعفت بإضاءات دقيقة ومعلومات ثرية تتصل بغرض الديوان، ولا تكاد تغادره، فتلك المقدمات ربطت القاري بعنوان الديوان الأساس" **من وحي الأكباد النازحة**" والنص المخصوص بتلك المقدمة، وتربطهما معا بمقصدية الرحلة والحنين، والشوق للأبناء الراحلين، والأكباد النازحين.

وبنظرة فاحصة لقصائده نجد أنه قد قدم أغلب قصائده الأربع والثلاثين بمقدمات منيرة، سبَّق بها الشاعر نصوصه، مبيّناً الظروف التي صاحبتها، والباعث المباشر لإنشائها، ولم يند عن طرازه هذا سوى قصيدة واحدة فقط هي قصيدته الرابعة عشرة؛ في ترتيب القصائد " **خلف البنين النازحين**"، كتبها وهو في بتسبرج بالولايات المتحدة الأمريكية، عام ١٩٨١م، ومطلعها:

---

(١) من وحي الأكباد النازحة: ١٤.

الأرض ملأى باللـــهيب المـــستعرْ وأنت لاهٍ في الـــسماء يـــا قمـــرْ[1]

ولعل السبب في ذلك يعود إلى التَّماسِّ الشديد بين القصيدة وعنوان الديوان نفسه، ولكونها لم ترافق حدثا محددا بعينه، ولكونها- كذلك- وردت في ترتيب قصائده بين قصيدتين تأمليتين وهما الثالثة عشرة" **السنجاب الحائر**" والخامسة عشرة "**ما ضر لوكنا التقطنا حكمة**" وكلاهما مما كتب في الولايات المتحدة الأمريكية، كما هو مثبت في خواتيمهما، ولتماس معانيهما معها اكتفى ربما بتقديم هاتين القصيدتين السابقة عليها والتالية لها، ورأى أن معانيها التأملية تغني القارئ عن أي تقديم.

وتراوحت مقدماته طولاً وقصرا، فبعضها يتضمن إشارات عابرة، وموجزة، وبعضها يتضمن تفصيلا، فقصيدته الأولى "**الطائر المهاجر**" التي يقول فيها:" **أرسل الشاعر القصيدة التالية إلى الشاعر المهجري إلياس فرحات والأديب والصحافي المهجري موسى كريم صاحب مجلة الشرق البرازيلية يوصيهما بأكبر أولاده المهندس "نبيل" الذي هاجر إلى البرازيل سنة ١٩٦٨م ...**" [2] يُفصِّل فيها أركان المقدمة متضمنة: **الطريقة** التي أديت بها القصيدة "أرسل"، فهي مرسلة، وليست ملقاة في محفل، وهذا يؤكد هدف إنشائها، فهو هدف نفعيٌ آنيٌّ بالمقام الأول، وتضمنت **المرسل إليهما**، وهما هنا الأديبان إلياس فرحات وموسى كريم، كما تضمنت الإشارة إلى اسميهما وبيان مكانتهما الكبيرة؛ التي تؤهلهما لأن يكونا محلا مناسبا للهدف من إرسال الطلب، فجملة " الشاعر المهجري" التي رافقت إلياس فرحات ، تعطي بعدا مهما لموقعه في البلد التي سيتوجه إليها ولده نبيل، وجملة "صاحب مجلة الشرق البرازيلية" المرافقة للتعريف بموسى كريم، تقدم بعداً ضافيا -كذلك- بمكانته، وصفته

(١) من وحي الأكباد النازحة : ٣٢.

(٢) المصدر السابق:٣.

الاعتبارية بين بني قومه المهجريين، كما تضمنت المقدمة **الغرض** من الرسالة، وهو قوله: "يوصيهما بأكبر أولاده المهندس نبيل"، فالغرض الرئيس من النص هنا واضح، هو وصية موجهة، والموصى به مشار إليه بعبارات موحية، فهو أكبر أولاده ، والولد الأكبر هنا هو أول المهاجرين من أبنائه، والشفقة عليه أكبر، والخوف عليه من خوض هذه التجربة أشد، وجملة " الذي هاجر" تتعالق وعنوان القصيدة" **الطائر المهاجر**" كما تتعالق مع عنوان الديوان " **من وحي الأكباد النازحة**"، وتضمنت المقدمة **المكان** الذي توجهت إليه القصيدة المرسلة" البرازيل" **والزمان** "١٩٦٨"، على أنه سيوثق لاحقا في ختام النص مكان إنشاء القصيدة وهو القاهرة . فهذه القصيدة تضمنت جل أركان المقدمات، وتداخلت مع عنوان الديوان ومغزاه. ومثلها مقدمة قصيدته الثالثة " **سأظل أذكرها مدى عمري**" التي يقول فيها:" حين كان الشاعر في البرازيل لزيارة أكباده النازحين، أقيمت له مآدب وحفلات كثيرة، منها المأدبة الكبيرة التي أقامتها الصحافية: ماريانا دعبول فاخوري صاحبة "المراحل" وكانت هذه المأدبة الحافلة بأعلام الأدب والفكر والمال في سان باولو توديعا للشاعر وقرينته بمناسبة عودتهما إلى مصر"[١]، فالملاحظ هنا طول المقدمة مقارنة بمقدمات عدد من قصائده، إذ نجد بعضها تأتي في كلمات يسيرة، مثل مقدمة قصيدته:" **أفكار في مساء العمر**" التي اقتصرت فقط على جملة :"عند ما بلغ الشاعر خمسة وسبعين عاما"[٢] ، فالمقدمة الموجزة هنا وسيط بين عنوانها ومطلعها، ولم تكن بحاجة لمزيد تفصيل، كما هو الحال في " **سأظل أذكرها مدى عمري**" التي بسط الشاعر في مقدمتها القول، فأضحت كأنها قصة، مشتملة على أركان القصة جميعها؛ من مكان وزمان وحدث وشخصيات، **فالمكان**" البرازيل"، **والزمان** "قبيل عودته إلى

(١) من وحى الأكباد النازحة : ٨.

(٢) المصدر السابق: ٣٦.

مصر مودعا البرازيل، إثر زيارة أكباده النازحين" **والحدث**" مأدبة من مآدب كثيرة أقيمت له، " **والشخصية الرئيسية**" ماريانا دعبول"، **والشخصيات الثانوية** في الحدث" حضور أعلام الأدب والفكر والمال في سان باولو"، وهناك مزيد من الظلال المهمة من خلال كلمات موحية ، ذات تفاصيل صغيرة ، ولكنها تحمل أبعاداً رحلية مهمة تتماس بشكل كبير مع النص خصوصاً، والديوان عموماً ، مثل: "في البرازيل"، "لزيارة أكباده النازحين" ،" توديعا للشاعر"، " عودتهما على مصر" .

وهذا التقديم المختصر لبعض قصائده يرد أحيانا حين يذكر شاعرنا القصيدة المرسلة إليه مقدما لها بمقدمة وافية، ولدى رده عليها تأتي المقدمة مختصرة، ومن ذلك تقديمه لمقطوعة اعتذارية وردته من الشاعر إلياس فرحات، عنونها بقوله: "**من الشاعر المهجري إلياس فرحات**"، ومقدمتها هي:" أرسل الشاعر المهجري الكبير إلياس فرحات إلى صديقه صاحب الديوان الأبيات الخمسة التالية يعتذر فيها من عدم تمكنه من استقبال أكباده النازحين إلى البرازيل: المهندسين نبيل، ويحيى، وهاني"[١]، وبعد إيراده لأبيات إلياس، أورد الرد عليها بقصيدته "بني لماذا اخترتم الهجر مذهبا؟) وقدم لها بمقدمة مختصرة هي:"**فرد عليه صاحب الديوان بالقصيدة التالية...**" [٢] ، ومثلها في القِصَر تلك النصوص التي كانت موجهة لأولاده النازحين، إذ يوجه القصيدة إليه بدون مزيد تفصيل، ويكتفي بذلك، فالقصيدة الرابعة" **متى الملتقى**" يوجهها ليحيى، ويقدمها بقوله: "إلى ولدي النازح بالبرازيل المهندس "يحيى" بمناسبة عيد ميلاده الثالث والعشرين"[٣]، ومثلها في القصر القصيدة الخامسة" **هنا ملتقانا... هنا**

(١) من وحى الأكباد النازحة : ٥.

(٢) المصدر السابق: ٦.

(٣) المصدر السابق: ١١.

الموعد" قدمها بقوله: "إلى ولدي الطبيب الدكتور أحمد بجامعة بتسبرج، الذي أكلته الغربة"[١]، **ومثلها تلك** الموجهة لأحفاده النازحين مع آبائهم، نجده يهديها لهم، ويكتفي بذلك عن أي تفاصيل أخرى، كما هو الحال في القصيدة العاشرة" **يذوب المهاجر في أرضها**" التي أهداها لحفيديه، مقدما بقوله:" إلى حفيديَّ الغاليين: جميل، ونادر، المولودين في أرض الغربة"[٢]، بينما القصيدة الثانية عشرة "**يابسمة في جديد مبتسمي**" ، التي أهداها لحفيده عمرو، أطال فيها قليلاً، ليرسل مع الإهداء بعض مشاعره التي لم يستطع كتمانها، فيقول مُقدِّما: "رزق الشاعر بحفيده: عمرو... وقد استقبلت هضاب إنجلترة الباردة في شيفيلد أول نسمات الحياة لهذا الوليد الذي جاء بعد كبرة من سن جده الشاعر فاستقبله بالقصيدة التالية... "[٣]، وعلى العكس منها القصيدة الحادية عشرة "**أفتش عن أكبدي النازحين**"، التي ورد فيها الإهداء لبنيه وأحفاده معا ، وفيها يقول:"إلى أبنائي وحفدتي النازحين، وقد لقيتهم جميعا في أرض الغربة، وقرت العين برؤيتهم"[٤]، فهنا وقد قرت العين برؤيتهم لم يكن بحاجة لبث لواعجه والإفصاح عن آلامه وانتظاراته فقصر التقديم، بينما في حديثه عن ولادة عمرو في بلاد الإنجليز الباردة بعيداً عن مصر وعن أهله وذويه، فهو وإن كتبها في شيفيلد، أثناء زيارته لولده أحمد، وبالقرب من الحفيد الوليد، إلا أنها كانت مشاعر لم يكن لها أن تكتم، ولواعج أبت إلا أن تظهر، وكان في التقديم لها نصيب ومحل.

وتضمن كثير من مقدماته معلومات ذات قيمة في حدود الزمان والظروف المحيطة به، والتي واكبت صدى رحلاته، ففي تقديمه لقصيدة "**سأظل أذكرها**

---

(١) من وحى الأكباد النازحة : ١٢.

(٢) المصدر السابق: ٢١.

(٣) المصدر السابق: ٢٥.

(٤) المصدر السابق:٢٣.

مدى عمري" يشير إلى المآدب الكثيرة التي أقامها له المهجريون احتفاء به في مهاجرهم، فيقول:" حين كان الشاعر في البرازيل لزيارة أكباده النازحين، أقيمت له مآدب وحفلات كثيرة "[١] ، أو إشارته لبلوغه الخامسة والسبعين من العمر وهو في إحدى رحلاته في قصيدة" **ما ضر لو كنا التقطنا حكمة**"، إذ يقول: "في خلال زيارة الشاعر لأكباده النازحة في الولايات المتحدة الأمريكية بلغ من العمر خمسة وسبعين عاما. فأخذ يناجي ذكريات العمر وقد أدرك غرور الحياة "[٢].

وقد تشير المقدمة إلى الظروف الطارئة التي واكبت إنشاء بعض النصوص، كان يكون نظمها وهو مريض في إحدى رحلاته المهجرية، من مثل تقديمه للقصيدة العشرين" **كم أرقنا من أجلهم**"، حيث يقول:"نظمها الشاعر حين زاره الثري الشاعر الإنسان فيليب لطف الله والسيدة الأدبية ماريانا دعبول فاخوري في منزل ولده المهندس "يحيي" لعيادة صاحب الديوان في علته الخطيرة بالمرارة"[٣] ، فالمقدمة توثق معلومة قيمة في سيرته الرحلية، لم يكن لنا أن نقف عليها لو أنه لم يشر إليها هنا، وهي إصابته بالتهاب المرارة في زيارته للبرازيل عام ١٩٧٥م، التي ألزمته السرير أياما طويلة. ومثلها قصيدته "**ليس لي حيلة**" التي توثق مقدمتها زيارة الشاعر فيليب لطف الله له في المستشفى بعد إجراء العملية، وإهدائه ديوانه "حصاد الأيام"، حيث يقول:" أهدى الشاعر المهجري فيليب لطف الله نسخة من ديوانه (حصاد الأيام) إلى الشاعر وهو يكابد جراحة استئصال المرارة بمستشفى ساوكاميليو بالبرازيل، فأثارت الزيارة والهدية هذه الأبيات"، فالمقدمة هنا تضيف معلومات سيرية مهمة

(١) من وحى الأكباد النازحة : ٨.

(٢) المصدر السابق: ٣٤.

(٣) المصدر السابق: ٤٠.

لحياته، وتشير إلى مواقف مفصلية من رحلاته، إذ تحدد هنا المكان الذي أجرى فيه عملية المرارة، بخلاف مقدمة قصيدته" **كم أرقنا من أجلهم**" التي أشارت إلى العلة فقط، وربما نجد بين النصين بناءً تصاعدياً للأحداث، فتكون زيارة فيليب برفقة مريانا له في منزل ولده يحيى تالية لتلك الزيارة التي كان فيها إهداء الديوان وإجراء العملية، وحينها اكتفى بما ورد في مقدمة القصيدة الأسبق زمنيا من تفاصيل صغيرة.

أو كأن توثق مقدمته بعض أوَّليات سيرته الرحلية المهجرية، فقصيدة "**الطائر المهاجر**" وثقت مقدمتها توديعه لابنه الأكبر نبيل وتوصية أصدقائه المهجريين به وهو يحزم حقائبه عازما على الهجرة والرحيل، فيقول قي مقدمة النص:" أرسل الشاعر القصيدة التالية إلى الشاعر المهجري إلياس فرحات والأديب والصحافي المهجري موسى كريم صاحب مجلة الشرق البرازيلية يوصيهما بأكبر أولاده المهندس "نبيل" الذي هاجر إلى البرازيل سنة ١٩٦٨م "[١]، فهذه المقدمة وثيقة مهمة، في تحديد بدايات رحلة الشاعر العاطفية نحو المهجر، إذ حددت زمن رحلة ابنه الأكبر نبيل، تلك الرحلة التي قادت بقية الأبناء للحاق به، ومن ثم فتحت السبيل للحاق الوالد "الشاعر" بهم في رحلاته السنوية، التي وثق الديوان تفاصيلها. وقصيدة" **عاد الشباب إليَّ**" توثق مقدمتها معلومة تندرج ضمن أوليات رحلاته المهجرية، وهي تحديد تاريخ أول زيارة له للبرازيل، إذ يقول: "أقام الشاعر المهجري المرحوم فيليب لطف الله مأدبة تكريم للشاعر في نادي جبل لبنان بسان باولو، بمناسبة زيارته لأكباده النازحين–لأول مرة– فألقى القصيدة التالية "[٢]، فجملة" لأول مرة" الواردة هنا، بالإضافة إلى التاريخ الذي ذُيّل به النص في نهايته "عام ١٩٧٥" يقدمان لنا

(١) من وحى الأكباد النازحة :٣.

(٢) المصدر السابق: ٥١.

إضاءة لا تقدر بثمن في بناء الهرم الزمني لرحلات شاعر الأهرام المهجرية، كما سيأتي.

وأحيانا توثق مقدمة النص لحظة زمنية دقيقة ومؤثرة في ولادة النص نفسه، كمقدمة قصيدته" **في بيت أكبادي حللت**"، حيث يشير فيها للحظة وصول الشاعر المهجري إلى زيارته وهو يحزم أمتعته متوجها صوب المطار؛ عائدا إلى مصر، وكان للزيارة تأثيرها، يقول: "جاء الشاعر المهجري إلياس فرحات من مدينة "الأفق الجميل" بالبرازيل إلى سان باولو ليُحيِّي صاحب الديوان في بيت ولده" يحيى عبد الغني"، وكان صاحب الديوان في ذلك اليوم على أهبة الذهاب إلى المطار عائدا إلى مصر"[1]. فالمقدمة هنا توثق لحظة زمنية مهمة وذات بعد مؤثر في نشوء القصيدة، وكذا في السجل الراصد لرحلاته المهجرية، فكل تلك المقدمات تجلِّي الظروف الزمانية التي ارتبطت بالشاعر ونصه، وهي بهذا التوضيح تضيء القصيدة وتوضح بعض مراميها ولا سيما المرامي الرحلية، والأبعاد السير ذاتية.

ولا يمكننا هنا تجاوز دلالات الظروف المكانية التي قربتها مقدمات شاعرنا لنصوصه، إذ أفصحت تلك المقدمات عن رصد البلدان التي رحل إليها بنوه النازحون، فالبرازيل هي الأكثر ورودا في مقدماته، إذ وردت بهذه اللفظة في عشر مقدمات، ووردت مدن برازيلية محددة في مقدمات كُثُر، وبالأخص مدينتا ساوباولو التي وردت في ثمان قصائد حيث يعيش ابناه نبيل ويحيى، وسلفادور في موضع واحد حيث يسكن ابنه هاني ، ومدينة الأفق الجميل "بيلو هوريزنتي" في موضع واحد كذلك، ومثلها مدينة فوز دو اقواسو، فيصير

(١) المصدر السابق: ٤٤، ومدينة "الأفق الجميل" المقصود بها مدينة بيلو هوريزنتي، عاصمة ولاية ميناس جيرايس، الواقعة في جنوب شرق البرازيل، وقد زرتها أكثر من مرة، وهي من أجمل مدن البرازيل، وحلَّ بها مهجريون كثر.

مجموع مقدمات القصائد التي وردت فيها إشارات إلى أماكن تخص البرازيل بشكل عام ما يقارب إحدى وعشرين مقدمة.

وبتتبع خريطة رحلاته المهجرية من خلال مقدمات نصوصه ودلالاتها المكانية نجد بالإضافة إلى البرازيل ذكر الولايات المتحدة الأمريكية؛ إذ وردت في ست مقدمات، بصيغ تتراوح بين عموم المكان وتفصيل المدينة " الولايات المتحدة" و" أمريكا الشمالية" و" بتسبرج"، و" نيوجرسي".

وورد في مقدمات بعض نصوصه إشارات عامة يتعدد فيها المكان، مثل القصيدة السابعة "**فمصر الثراء ومصر العطاء**"، فمن المفارقات أن يكون عنوانها عن مصر ويجمع في مقدمتها بين الولايات المتحدة والبرازيل، ولا يكون لمصر في مقدمتها أية إشارة، حيث يقول:" من وحي التقاء الشاعر بأكباده الأربعة النازحين في البرازيل وأمريكا الشمالية "[١]، ومثلها قصيدة" **فاضحك إلى الدنيا الجميلة**" التي صورت مقدمتها الحيرة التي حلت بابنه بين بلدين هما الولايات المتحدة والبرازيل، يقول في مقدمتها: "مر المهندس "يحيي" ولد الشاعر بظروف غير مواتية قلبت بسمته الجميلة إلى أفكار غائمة، وتحير ذاهبا أو آيبا بين الولايات المتحدة والبرازيل "[٢]، فتعدد حضور المكان هنا مهم، والحاجة إليه ماسة للوقوف على مغزى النص، بل إننا نجد لديه مقدمة من مقدماته يتعدد فيها المكان ليشمل كل الاتجاهات التي رحل إليها للقيا أبنائه النازحين، وهي مقدمة القصيدة التاسعة" **ما زلنا نسير**"، التي يقول فيها: "مع أكبادي النازحين في المهجرين الأمريكيين الشمالي والجنوبي وفي أوربا مازلت أسير في دروب الحياة الطويل الشاق، مؤمنا بقضاء الله الذي لا مفر، ولا محيد عنه... "[٣]،فهنا

(١) من وحى الأكباد النازحة : ١٧.

(٢) المصدر السابق: ١٩.

(٣) المصدر السابق: ٢٠.

يرد المهجر الشمالي(حيث ابنه أحمد في نيوجيرسي وبتسبرج، وكذا يحي في بعض الأوقات)، والمهجر الجنوبي(حيث أبناؤه المهندسون الثلاثة في البرازيل نبيل ويحيى في ساوباولو، وهاني في سلفادور)، وأوروبا (حيث ابنه الدكتور أحمد في شيفيلد بإنجلترا، قبل انتقاله للولايات المتحدة الأمريكية أستاذاً للطب في جامعة بتسبرج).

وأحيانا يجمل الأماكن جميعها التي حل بها أبناؤه وارتحل إليها من أجلهم؛ مطلقاً عليها مجتمعة" **أرض الغربة**"، وهذا ورد في مقدمتين اثنتين، هما مقدمة قصيدة "**يذوب المهاجر في أرضها**"، وفيها يقول: "إلى حفيديَّ الغاليين: جميل، ونادر، المولودين في أرض الغربة"[١]، فالمكان هنا لم يعد مهماً، وفيه تتساوى الصفات، وتتحد السمات، إذ الغربة والاغتراب والبعد والوحشة هي المعلم الأوضح له، ومثلها قصيدة "**أفتش عن أكبدي النازحين**"؛ يقول في مقدمتها:" إلى أبنائي وحفدتي النازحين، وقد لقيتهم جميعا في أرض الغربة، وقرت العين برؤيتهم "[٢]، فكذلك هنا بعد أن قرت العين برؤية الأحبة لم يعد بحاجة لتلك التفاصيل المكانية الدقيقة، ولعل الشحنات العاطفية نحو الغربة وآلامها في متن القصيدتين كان لها الدور الأكبر في اتجاه الشاعر نحو إجمال المكان في مقدمته وتسميته ب" **أرض الغربة**" عوضا من التخصيص الذي سلكه في جل نصوصه.

وحملت خريطة رحلاته المهجرية من خلال مقدمات نصوصه أسماء بعض النوادي العربية في البرازيل، تلك الأندية التي حفلت بتاريخ المهجريين ونتاجهم، وحفلت بالمآدب التي أقيمت لتكريمه لدى زياراته المتكررة، فمنها: "**نادي زحلة بساوباولو**" الذي أشار إليه في مقدمة قصيدته "**تحت أفياء عبقر**" بقوله:" أقام الشاعر المهجري شفيق معلوف في نادي زحلة بسان باولو مأدبة

(١) من وحى الأكباد النازحة :٢١.

(٢) المصدر السابق:٢٣.

غداء حافلة لصاحب الديوان وقرينته "[1]، وكذا "**نادي جبل لبنان بساوباولو**" في القصيدة الخامسة والعشرين " **عاد الشباب إليّ**"[2]،كما أفصحت تلك المقدمات عن بلدان بعض الأدباء المهجريين الذين زارهم أو زاروه، أو راسلهم أو راسلوه، ومواطن سكناهم، وإشارات إلى أسماء دواوين بعضهم؛ فإلياس فرحات عنما أرسل مقطوعته الشعرية التي يعتذر فيها عن عدم تمكنه من استقبال أبنائه النازحين سنة ١٩٦٨م،و مطلعها:

محمد! أهلا "بالنبيـــل" "وزوجـــه" وصنويه... أهلا بالشباب المهـــذَّبِ[3]

كان فرحات حينها في ساوباولو كما أفاد الشاعر في تذييل القصيدة، ولكن نجد أن مقدمة قصيدة " **في بيت أكبادي حللت**" التي كتبها الشاعر سنة ١٩٧٥م تشير إلى تحول إقامة إلياس فرحات من ساوباولو إلى مدينة بيلوهوريزينتي، التي يسميها شاعرنا" الأفق الجميل" يقول في مقدمة القصيدة:" جاء الشاعر المهجري إلياس فرحات من مدينة "الأفق الجميل" بالبرازيل إلى سان باولو ليُحيِّي صاحب الديوان في بيت ولده يحيى عبد الغني"[4]، والأخوان زكي قنصل وإلياس قنصل يعيشان في الأرجنتين في المدة التي تردد فيها محمد عبدالغني حسن على الديار المهجرية، فقصيدة "**على شلالات فوز دي اجواسو**" تشير مقدمتها إلى الظروف التي حالت بين شاعرنا والذهاب إلى الأرجنتين؛ لزيارة إلياس وكان قد وصل لمدينة فوز دو اقواسو وهي على حدود الأرجنتين، تقول المقدمة" عَبَر الشاعر حدود البرازيل ليشهد شلالات فوس ديجواسو الرائعة التي تفوق شلالات نياجرا، وكان في نيته أن يزور صديقه الشاعر المهجري إلياس

(١) من وحى الأكباد النازحة : ٣٨.
(٢) المصدر السابق: ٥١.
(٣) المصدر السابق: ٥.
(٤) المصدر السابق: ٤٤.

المهجري إلياس قنصل في بونس إيرس عاصمة الأرجنتين ...ولكن خاف طول الطريق، فعاد إلى أكباده بسان باولو، واعتذر لصديقه بالقصيدة التالية..." [١]، ومقدمة قصيدة " **شكرا لأبنائي الذين تغربوا** " تشير إلى أن زكي قنصل كان في الأرجنتين بقوله:" أهدى الشاعر المهجري: زكى قنصل نزيل الأرجنتين "، والمهجري جورج صيدح تفيدنا مقدمة قصيدة " **وأقول لو كان البنون بجانبي** " بأنه قضى وقتا للعلاج في باريس، يقول شاعرنا في مقدمته : "كان الشاعر يكابد عملية جراحية دقيقة في المستشفى الإيطالي بالقاهرة، فكتب إليه الشاعر جورج صيدح من باريس يقول: "وأنا في مصح المعالجة لا يهمني أمري، كما يهمني أمرك..." [٢] ، ومقولة صيدح هذه استحقت – بما تحمل من معانٍ أخوية راقية، وحمولات عاطفية صادقة– أن تثبت هنا في المقدمة وتسجل؛ ليكتب لها الخلود.

كما حفلت المقدمات بأسماء عنوانات دواوين مهجرية، وصحف عربية صادرة في البرازيل، من مثل ديوان" حصاد الأيام" لفيليب لطف الله، في مقدمة قصيدته" **ليس لي حيلة** "، إذ يقول : " أهدى الشاعر المهجري فيليب لطف الله نسخة من ديوانه (حصاد الأيام) إلى الشاعر وهو يكابد جراحة استئصال المرارة"[٣]، وديوان "**عطش وجوع**" لزكي قنصل، المشار إليه في مقدمة قصيدة" **شكرا لأبنائي الذين تغربوا**"، حيث يقول: "أهدى الشاعر المهجري: زكى قنصل نزيل الأرجنتين ديوانه: "عطش وجوع" إلى صاحب الديوان، ومعه أبيات إهداء رقيقة... " [٤] ، ومن الصحف والمجلات المهجرية التي ترددت في مقدماته،

---

(١) من وحى الأكباد النازحة : ٥٣.

(٢) المصدر السابق: ٤٧.

(٣) المصدر السابق: ٤٩.

(٤) المصدر السابق:٥٦. وأشير هنا إلى أن **هوامش قصائده** أشارت إلى عناوين بعض الدواوين المهجرية، ومنها: "**مطولة النبي العربي الكريم**"، لإلياس قنصل، في الهامش

"**مجلة الشرق البرازيلية**" وردت في مقدمة قصيدته" **الطائر المهاجر**"، يقول :" أرسل الشاعر القصيدة التالية إلى الصحافي المهجري موسى كريم صاحب مجلة الشرق البرازيلية "(١)، و"**صحيفة المراحل**" التي أنشأتها الأديبة مريانا دعبول فاخوري، تكرر ذكرها في مقدمتي قصيدة "**سأظل أذكرها مدى عمري**" حيث يقول: "حين كان الشاعر في البرازيل لزيارة أكباده النازحين، أقيمت له مآدب وحفلات كثيرة، منها المأدبة الكبيرة التي أقامتها الصحافية: ماريانا دعبول فاخوري صاحبة "المراحل" ... "(٢)، وقصيدة:" **يوم زرنا فراخنا**" بقوله: " ناجت الأديبة ماريانا دعبول فاخوري صاحبة "المراحل" بالبرازيل زوجها الذي فقدته منذ ثلاثين عاما ..."(٣).

وهناك أماكن عامة زارها الشاعر في رحلاته العامة غير متصلة بالمهجريين، لكنها كانت فضاء للحديث عن أكباده النازحة، مثل "دمشق" في قصيدة " **جئت في موكبٍ من الخلد ضافٍ**"(٤)، ومدينة "المهدية" بتونس في قصيدة "**بعثتني خمائل النيل طيراً**"(٥) و"بنغازي" في ليبيا في قصيدة" **لكنني يا أبا الأبطال معتذرٌ**"(٦)، و"بغداد" في قصيدة: "**خلوا الجراح تقرب كل من بعدوا**"(١)،

رقم (١) في قصيدة "على شلالات فوس ديجواسو"، ص:٥٣، وديوان "**سعاد**" لزكي= =قنصل، الوارد في هامش رقم (٢) في قصيدة" شكرا لأبنائي الذين تغربوا" ص: ٥٦، وديوان" **لكل زهرة عبير**" لشفيق معلوف، في الهامش رقم (١) لقصيدة" وكنت برا بأكبادي" ص: ٧٨، وفي هذا المقام لا يمكننا تجاوز ديوان " **عبقر**" لشفيق معلوف، الذي عنون به شاعرنا قصيدته" **تحت أفياء عبقر**"، وتردد صداه في بعض أبياتها، تلك القصيدة التي وثقت الاحتفاء الكبير الذي أقامه له المهجري شفيق معلوف في ساوباولو.

(١) المصدر السابق: ٣.
(٢) المصدر السابق: ٨.
(٣) المصدر السابق: ٦٥ .
(٤) المصدر السابق: ٥٨.
(٥) المصدر السابق: ٦٢.
(٦) المصدر السابق: ٦٧

فهذه النصوص الأربعة وكما أشير إلى ذلك من قبل نجد أن طراز متن النص فيها يسير دوما في المناسبة الأصيلة، ثم ينحرف بشكل سريع نحو قضية شاعرنا الكبرى، وهي ذكرى الأكباد النازحة.

ومن أهم العتبات في **الديوان** وتكاد تكون ركيزة مهمة من ركائز الطراز الذي التزم به شاعرنا عتبة **تذييل نصوصه في خواتيمها بالإشارة للمكان والتاريخ** الذين أنتج النص فيهما، ومن خلال هذه العتبة يمكننا وضع خريطتين للبلدين التي أنشأ نصوصه فيها، وكذا أخرى للترتيب الزمني لنصوص الديوان، بشكل دقيق.

وطريقة الشاعر التي التزم بها هي ذكر المكان أولاً ثم السنة التي كتب فيها النص، وفي ذكر المكان سار على نهج مقدماته؛ فالغالب هو ذكر اسم المدينة التي أنشأ فيها النص "سان باولو، القاهرة، سلفادور، بتسبرج، شيفيلد، نيوجرسي، تونس، بغداد" ، وأحيانا يذكر اسم البلد" البرازيل، الولايات المتحدة الأمريكية"، ونرى أنه كتب في القاهرة" ١٢" قصيدة من قصائد الديوان الأربع والثلاثين، وباقي القصائد وعددها (٢٢) قصيدة كتبت خارج مصر، واستأثرت البرازيل بأكثر تلك القصائد، إذ كتب فيها بمجموع مسمياتها ومدنها- البرازيل، سان باولو، سلفادور- (١٣) قصيدة، وكتب في الولايات المتحدة الأمريكية، باسم الدولة العام وبمدنها المختلفة- بتسبرج، نيوجرسي- ما مجموعه (٦) قصائد، وقصيدة واحدة كتبت في كل من " شيفيلد بإنجلترا، وتونس، وبغداد) .

وينبغي لنا التنبه إلى التفريق بين مكان ولادة القصيدة ومكان نشرها وإلقائها، فهناك بعض القصائد كتبها في القاهرة ليشارك بها خارج مصر، ووثق هذا في مقدماتها، وأثبت المكان الدقيق لولادتها في خواتيمها، ومن ذلك قصيدة" **جئت في موكبٍ من الخلد ضافٍ**"، ففي تذييلها كتب الشاعر: "**القاهرة سنة**

---

(١) من وحى الأكباد النازحة : ٧٤.

١٩٨١م"[١]، ولكن بالنظر لموضوعها وماجاء في مقدمتها نجد أنها كُتبتْ في القاهرة، وألقيت في دمشق، يقول في مقدمة القصيدة:" ألقيت في مهرجان الحضارة العربية الإسلامية المنعقد بدمشق ١٩٨١ بمناسبة مرور أربعة عشر قرنا على الهجرة ..." [٢]، فالمتوقع أنه كتبها في القاهرة قبيل سفره للمشاركة بها في ذلك المهرجان، وقد أشار فيها إلى تشوقه لبنيه بقوله:

جئـــتكم والحـــنينُ يعـــصر قلـــبي ... لـــــبَنيَّ الـــــذين هـــــدُّوا جـــــداره

إنني ذاهـــبٌ لهـــم بعـــد شـــهرٍ، ... أتخطَّـــــى مـــــن أجلـــــهم أســـــواره

آه لو أنـــني انطـــوى ليَ عـــامي! ... فـــأرى مـــــن شـــــهوره "أيَّـــــاره"!!

حيث تُطوَى لي الأرض والجوُّ طيـــاً ... في ذراع مـــــن جـــــانبَيْ طيـــــاره..

فـــأراهم كمـــا أراكـــم وأغـــدو ... شاكرا حامدا لتلـــك الزيـــاره... [٣]

فانتظاره لشهر أيار "مايو" الذي يرحل فيه عادة لزيارة أبنائه النازحين، مفاده أن ولادة تلك القصيدة في القاهرة ومشاركته بهافي دمشق كانا في بداية العام المذكور ١٩٨١م، إذ سنراه- وقد تحققت أمنيته- يقضي صيف ذاك العام في الولايات المتحدة الأمريكية مع بنيه النازحين كما وثقت ذلك القصائد الثلاث: السادسة عشرة "**خلف البنين النازحين**"، التي كتبت في بتسبرج[٤]، والسابعة عشرة" **ما ضر لو كنا التقطنا حكمة**"، وذيلت بقوله: "**الولايات المتحدة الأمريكية، صيف سنة ١٩٨١م**"[٥]، والثامنة عشرة" **أفكار في مساء العمر**"،

(١) من وحى الأكباد النازحة : ٦١.
(٢) المصدر السابق: ٥٨.
(٣) المصدر السابق: ٥٩.
(٤) المصدر السابق: ٣٢.
(٥) المصدر السابق: ٣٥.

أفاد تذييلها بأنها كُتبت في نيوجرسي سنة ١٩٨١م[١]، فجميعها إذن كتبت في صيف ١٩٨١م في الولايات المتحدة الأمريكية، وهو آخر صيف يرحل فيه للقاء بأبنائه النازحين كما سيتبين لنا لاحقا.

ومن طراز عتباته أن يلي التذييلُ بالزمان التذييلَ بالمكان، وذلك بتحديد سنة كتابة القصيدة، والغالب في رصده للزمن الذي قيلت فيه القصيدة أن يذكر السنة فقط، كما في قصيدته" **بني لماذا اخترتم الهجر مذهبا؟**" حيث جاء التذييل بقوله:" **القاهرة سنة ١٩٦٩م**"[٢] أو " **سأظل أذكرها مدى عمري**" ذيلها بقوله:" **سان باولو سنة ١٩٧٥م**"[٣]، وأحيانا يذكر الشهر وسيطا بين المكان والسنة، كما في قصيدة "**الطائر المهاجر**" حيث قال:" **القاهرة ديسمبر سنة ١٩٦٧م**"[٤]، ومثلها قصيدة " **الخالدان تلاقيا**" ذيلت بـــ" **سان باولو أبريل سنة ١٩٧٥م**" [٥] وتارة يذكر الموسم"الصيف" مثلا، كما في قصيدته:" **أفتش عن أكبدي النازحين**"، التي ذُيلت بقوله: " **البرازيل صيف سنة ١٩٨٠م**"[٦] ، وقصيدة "**ما ضر لو كنا التقطنا حكمة**"، ذيلها مشيرا للموسم بقوله:" **الولايات المتحدة الأمريكية صيف ١٩٨١م**"[٧] .

---

(١) من وحى الأكباد النازحة : ٣٧.

(٢) المصدر السابق: ٧.

(٣) المصدر السابق: ١٠.

(٤) المصدر السابق: ٤.

(٥) المصدر السابق: ٢٨.

(٦) المصدر السابق: ٢٤.

(٧) المصدر السابق: ٣٥.

المبحث الثالث: المسار الرحلي في نصوصه ودلالاتها:

ويمكننا من خلال تتبع التذييل الزمني لنصوصه وأماكن إنشائها وربط ذلك بمقدماتها وكذا مضامين نصوصها تَبَيُّنُ الخارطة الزمانية والمكانية لرحلاته المهجرية، منذ أول قصيدة تم توثيقها في الديوان زمنياً في ديسمبر ١٩٦٧م إلى آخر قصيدة وردت فيه والمؤرخة بعام ١٩٨١م، وتسبق الانتهاء من جمعه وترتيبه بعام واحد تقريباً، إذ صنع مقدمته – كما مر من قبل– في القاهرة في شهر ربيع الأول ١٤٠٢هـ الموافق يناير ١٩٨٢م [١]، علما بأن الشاعر قد عمد إلى ترتيب ديوانه موضوعيا– وفق ما سبق تفصيله في المبحث الأول– من خلال ضم النص إلى نظيره، ولكنه قدم لنا خدمة كبيرة من خلال عتباته النصية في المقدمات وتذييل الخواتيم بإشارات زمانية ومكانية مهمة، تمكننا من **إعادة ترتيب ديوانه زمنياً**، ومن خلالها نتبين **مسار رحلاته المهجرية**، ومسار معاناته في تتبع أبنائه النازحين، والجدول الزمني التالي، الذي يرتب نصوصه زمنيا، وسيكون هو المنطلق نحو الوقوف على ذلك المسار الرحلي وتبيُّن دلالاته:

الرقم	عنوان القصيدة	زمنها	مكانها
١	**الطائر المهاجر**	**ديسمبر ١٩٦٧م**	**القاهرة**
٢	**متى الملتقى؟**	**١٩٦٨م**	**القاهرة**
٣	**من الشاعر المهجري إلياس فرحات، بني لماذا اخترتم الهجر مذهبا؟**	**١٩٦٩م**	**القاهرة**
٤	**يا بسمة في جديد مبتسمي**	**ديسمبر ١٩٧٤م**	**شيفيلد**

(١) انظر : المصدر السابق: ٢.

٥	تحت أفياء عبقر	١٩٧٥م	ساوباولو
٦	لقاء على أرض الغربة	١٩٧٥	ساوباولو
٧	عربية غريبة اللسان	١٩٧٥م	ساو باولو
٨	على شلالات فوس دي اجواسو	١٩٧٥ م	ساو باولو
٩	الخالدان تلاقيا	إبريل ١٩٧٥م	ساو باولو
١٠	ليس لي حيلة	١٩٧٥م	ساو باولو
١١	كم أرقنا من أجلهم	١٩٧٥م	ساوباولو
١٢	عاد الشباب إلي	مايو ١٩٧٥م	ساوباولو
١٣	سأظل أذكرها مدى عمري	١٩٧٥م	ساو باولو
١٤	في بيت أكبادي حللت	١٩٧٥م	ساوباولو
١٥	شكرا لأبنائي الذين تغربوا	١٩٧٦م	القاهرة
١٦	ما زلنا نسير	مارس ١٩٧٦م	القاهرة
١٧	بعثتني خمائل النيل طيراً	مايو ١٩٧٦م	تونس
١٨	خلوا الجراح تقرب كل من بعدوا	١٩٧٦م	بغداد
١٩	وأقول لوكان البنون بجانبي	١٩٧٧م	القاهرة
٢٠	لم أزل من نأيهم في وحشة	يونيو ١٩٧٧م	القاهرة
٢١	وكنت برا بأكبادي	ديسمبر ١٩٧٧م	القاهرة
٢٢	لكنني يا أبا الأبطال معتذر	١٩٧٩م	القاهرة
٢٣	هنا ملتقانا هنا الموعد	١٩٨٠م	بتسبرج
٢٤	يذوب المهاجر في أرضها	١٩٨٠م	بتسبرج
٢٥	السنجاب الحائر	١٩٨٠م	نيوجرسي

٢٦	**فمصر الثراء ومصر العطاء**	**١٩٨٠م**	**سلفادور**
٢٧	**أفتش عن أكبدي النازحين**	**١٩٨٠م**	**البرازيل**
٢٨	**هناك على الربوة العالية**	**١٩٨٠م**	**سلفادور**
٢٩	**يوم زرنا فراخنا**	**١٩٨٠**	**القاهرة**
٣٠	**فاضحك إلى الدنيا الجميلة**	**١٩٨١م**	**القاهرة**
٣١	**خلف البنين النازحين**	**١٩٨١م**	**بتسبرج**
٣٢	**ما ضر لو كنا التقطنا حكمة**	**صيف ١٩٨١**	**الولايات المتحدة الأمريكية**
٣٣	**أفكار في مساء العمر**	**١٩٨١م**	**نيوجرسي**
٣٤	**جئت في موكب من الخلد ضاف**	**١٩٨١م**	**القاهرة**

ففي سنة ١٩٧٤م كانت أولى رحلاته كما تشير قصيدته "**يا بسمة في جديد مبتسمي** "[١] ، أي بعد سبع سنوات من رحيل نبيل أكبر أولاده، وأول النازحين منهم، فنبيل وصل إلى البرازيل في يناير سنة ١٩٦٨م كما وثقت ذلك المراسلات الشعرية التي دارت بين والده وبين المهجري إلياس فرحات في قصيدة "**بني لماذا اخترتم الهجر مذهبا؟**"[٢]، وعلى الرغم من أن الشاعر محمد عبدالغني حسن لم يرتب ديوانه زمنيا إلا أن أول قصيدة في ترتيب الديوان هي أيضا الأولى زمنيا، وهي قصيدته "**الطائر المهاجر**"، وهي بحق استحقت أن تكون في مفتتح الديوان، إذ توثق بدايات معاناته، وأبانت عن أول هاجس يطرق فؤاد الأب المكلوم بتوديع أكبر الأبناء المهندس نبيل، وفي مفتتحها – موصياً

(١) انظر: من وحى الأكباد النازحة : ٢٥.

(٢) انظر : المصدر السابق: ٦.

مفتتحها – موصياً المهجريين به قبيل مغادرته القاهرة صوب البرازيل- أطلق أول مفردة من معجم المعاناة والألم والوداع ، تلك التي سيطرقها كثيراً، إذ يقول:

أَودَعْتُ بين يديكم فلذة الكبد، وقلتُ سِرْ في أمان الله يا ولدي
قضى الطموحُ عليه أن يُغَرِّبهُ عن رَبعه الخصب أو عن عيشه الرَّغِد
الحَبُّ في عُشِّهِ... والماء في فمه، لكنه هائم كالطائر الغَرِدِ
ظمآنَ والماءُ يجري في جداولنا ، والنيلُ يَروي على الشطَّين كل صدي[1]

ففي الشطر الأول ومن أول قصيدة في ديوانه تفاجئنا الكلمة الأهم" أودعتُ"، والديوان كله من أوله على آخره يدور حول كلمتي " فلذة الكبد" الواردة في الشطر نفسه، وواضح من قوله " قضى الطموح عليه ... " أن هناك نقاشا عميقا دار بين الأب وابنه قبل أن يتخذ قراره بالرحيل والهجرة، وأن الابن قاده الطموح للرحيل، أما الأب فكان يرى أن مصر خيرٌ له من هجرته، وانتهى النقاش بينهما، وترك الأب في نهاية المطاف لابنه نبيل أن يختار قراره بحرية، فيقول:

تركتُهُ لطموح النفس ينقله من مهده لفراش غير ممتهد..
ولم أشأ –مرغماً– تثبيطَ عزمته، ولا أردتُ له أشياءَ لم يُرِدِ
أحببتُ من أجله ما فيه راحته، وإن يكن فوق طوق الصبر والجَلَد
بَرغم أنفيَ أني لا تريد يدي تقييدَ منطلق، أو صدَّ مجتهد[2]

(١) انظر : من وحى الأكباد النازحة : ٣.
(٢) انظر : المصدر السابق: الصفحة نفسها.

ودخل شاعرنا في هذه التجربة الجديدة عليه – توديع ابنه البكر – وهو أب، إذ كان وجلا من خوض غمارها، أو لا يدري كيف ستكون حاله بعدها، يقول:

فهل أطيقُ غداً توديعه بيـــدٍ مرعوشـــــة، وفـــؤاد فيَّ مرتعـــــد؟

يَدُ المقادير فيما بيننا حكَمَتْ بكلِّ ما لم تكن تقوى عليه يـــدي... (١)

مع العلم بأنه كما تخبرنا سيرته وأخباره وأشعاره قد مرت به التجربة وهو ابن، فقد غادر دار والديه وهو شاب نحو بلاد الانجليز للدراسة، وحكى تلك التجربة، وشعر بآلام والديه وهو المودَّع، فكيف به الآن وهو المودِّع، فله نصوص في دواوينه الأولى تحكي تجاربه تلك، منها: قصيدته" **ذكرى الوطن**" في ديوانه الأول" من وراء الأفق" كتبها وهو طالب في الإنجلترا، وقدمها بقوله:" نظم الشاعر هذه الأبيات وهو في إنجلترة يحن إلى وطنه ويسأل عما صنع الله به"(٢)، وقصيدة "**ربيع الغريب**" كذلك في "من وراء الأفق"(٣)، وقصيدته "**بعد الفراق**" في ديوانه من نبع الحياة(٤)، وغيرها من نصوص صورت هذا الشعور لديه(٥).

(١) انظر : من وحي الأكباد النازحة ٣.

(٢) من وراء الأفق، محمد عبد الغني حسن: ١٦.

(٣) انظر : المصدر السابق:١٣.

(٤) انظر : من نبع الحياة، محمد عبد الغني حسن، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط ١، ١٩٥٠م:٢١.

(٥) انظر مثلا: المصدر السابق: قصيدته "**إلى والد**" في ديوانه": ٢٠٨، و" إلى أب": ٢١٢، وانظر: ديوانه سائر على الدرب "قصيدة" أمي :٦

وبعد مدة يسيرة من وصول ابنه نبيل إلى البرازيل لحق به أخواه يحيى وهاني كما تشير إلى ذلك المراسلات التي دارت بينه وبين إلياس فرحات وفيها يعتذر إلياس من عدم تمكنه لعارض من أن يستقبل الأبناء الثلاثة، بقوله:

محمد! أهلا "بالنبيـــل" "وزوجـــه" وصنويه... أهلا بالـــشباب المهـــذَّبِ
لئن كنتُ لم أذهب إلـــيهم فـــإنني لأذهبُ في تقديرهم كلَّ مـــذهب..
أبوهم له عندي أيـــادٍ، وشـــيمتي نردُّ إلى الأبنـــاء مـــا كـــان لـــلأب
ولكنَّ دهـــرا كبَّلـــتني صـــروفُه، وصالت على ضعفي بنابٍ ومخلب[1]

ويعذره شاعرنا مقدرا ظروفه وذلك في قصيدته" بني لماذا اخترتم الهجر مذهبا؟"، بقوله:

أبـــا خالـــدٍ! فـــيمَ اعتـــذارك عنـــدنا وأنت قديمُ الفضل جـــمُّ التـــأدب؟
هممـــتَ بمعـــروفٍ! فـــسجَّلتهُ لكـــم، وأنتَ عن المعـــروف لم تتنكَّـــب [2]

وفي هذه القصيدة يحكي مرارة الفقد الكبيرة برحيل الثلاثة معاً، فهو شكا في قصيدته الأولى رحيل نبيل فقط، فكيف به الآن والثلاثة جميعا قد رحلوا، فيقول:

بَـــنيَّ وأفـــلاذي الـــذين تغيبـــوا فغاب بهم عن كوكبِ السعد كوكبي
فأطيـــافُهم مـــني قريـــبٌ مزارهـــا ولكنمـــا أجـــسامهم في تَغَـــرُّبِ
فَقَدتُ بهم نُعمى الحيـــاة وصـــفوها، فَطَيِّبُها أضـــحى ولـــيس بطيِّـــب [3]

(١) من وحي الأكباد النازحة: ٥.
(٢) المصدر السابق: ٦.
(٣) المصدر السابق: ٦.

ومن شغف شاعرنا بتتبع أخبار بنيه في السنة الأولى لرحيلهم – في ظل ضعف وسائل التواصل آنذاك– أن يظل متلهفا لأي خبر أو كتاب يسعفه به ساعي البريد، لما لذلك من أثر على الأب المكلوم، والأم المفجوعة برحيل الأكباد، فيقول مصورا تلك المشاعر الفياضة بقوله:

تكبُّ على ساعي البريد عيونُنا، ونرقُبُهُ في البيت من كل مَرقب
إذا ظفرتْ منه يدي برسالة، فقد عُدتُ من يومي بأحسن
نُقبِّلُها في لهفةٍ وتشوُّقٍ، ونلثمُها في فرحةٍ وتوثُّب!
ونقرأ ما بين السطور ... كأنما نسائلها عن كل معنى محجَّب..
ونحفظها تحت الوسادِ تميمةً، تضوِّى بِشْرا في الجبين المقطّب[1]

ولا يمنع بعد المسافات بينه وبين أحبته من السؤال المتكرر عنهم كل يوم، ومتابعة شؤونهم في السراء والضراء، فها هو يقول:

تحاجزني عنهم بحارٌ بعيدة، وموجُ محيطٍ هادرٍ متقلِّبِ
بعيدون حتى بالظنون.. كأنهم يقيمون في سرٍّ بعيدٍ مغيَّبِ
إذا نلتُهمْ حُلْماً فذلك غايتي، وإن رُمتُهم طيفاً فذلك مأربى
أسائلُ عنهمْ كل نجمٍ مُشرِّقٍ، وأسأل عنهم كلَّ نجمٍ مغرِّب
وأستروح الأنباء من نحو أرضهم، لأشفي جراحاتِ الفؤاد المعذب[2]

ولذا نجد أن القصيدة الثانية زمنيا " **متى الملتقى**" التي كتبها **سنة ١٩٦٨م،** تشير مناسبتها إلى بلوغ ابنه يحيى[3]الثالثة والعشرين من عمره هناك في

(١) من وحى الأكباد النازحة : ٧.
(٢) المصدر السابق: ٦.
(٣) سبق الحديث في المبحث الأول وبسط القول حول من هو المقصود بهذه التهنئة من أبنائه.

مهجره، وما كان من الأب إلا أن يشارك ابنه تلك المشاعر، ويشعره بأنه وإن بَعُد بجسده فهو قريب منه، لكأنما هو يراه صبحاً ومساء، يقول في فاتحتها:

جاءكَ العيــدُ وضــيئا مــشرقا هانئــاً، مبتــسما، مؤتلقــا

أنــت لا تبعــد عــن أعيننــا باقيــا، أو نازحــا منطلقــا

تجتليك العينُ صبحا أو مَــسا، وتُناجيك الضحى والغــسقا! (١)

ولا يترك الفرصة – وإن كانت لحظة سعادة وفرح- في الحديث عن فجيعته ببعده عنه، ويردد آهاته، ويرسل أمنياته قائلا:

آه! لو أملك أمــري بيــدي، كنت أطبقت عليك الحدقا!...

أيها النــازح عــن روضــته! حفَّك الروض نــضيرا عبقــا

آه! لــولا رحمــةُ الله بنــا لاكتوى القلبُ بكم واحترقا (٢)

ففجيعة الأب وحسراته حملتها لنا آهتان لم يفصلهما سوى بيت واحد، وكل آهة تخذت منحى مختلفا، فهو تمنى في الأولى أن لو كان يسطيع من أمره شيئا لأطبق على ابنه عينيه، وحماه من التغرب والرحيل، وحمى هو نفسه من الفجيعة والفقد، والآهة الثانية تعود به إلى تذكرِ إيمانه بالله، وتذكرِ أن لولا رحمة من الله تحيط به لاحترق قلبه كمداً.

وبالعودة إلى ما قدمنا به من الحديث عن تتبع سير رحلاته خلف البنين النازحين نجد أن قصيدته "**يابسمة في جديد مبتسمي**"(٣) التي كتبها سنة ١٩٧٤م هي أول توثيق لرحلاته، ففي هذه السنة اتجه شمالا نحو ابنه الأصغر أحمد في **شيفيلد**- بريطانيا، وهنا نلحظ أن هناك أربع سنوات أو تزيد تفصل بين

(١) من وحي الأكباد النازحة: ١١.

(٢) المصدر السابق: الصفحة نفسها.

(٣) انظر : المصدر السابق: ٢٥.

بين مراسلاته مع إلياس فرحات في القصيدة التي تسبقها زمنيا "**بني لماذا اخترتم الهجر مذهبا؟**" وكانت في ١٩٦٩م، وهي سنوات صمتت النصوص عن بيان ماذا كان فيها، إذ لا نجد بين نصوص الديوان أي نص يوثق هذا المدة في السنوات (١٩٧٠،١٩٧١،١٩٧٢،١٩٧٣)، ولم أجد جوابا شافيا عن هذا الصمت يمكن أن تعضده الأدلة أو الشواهد، لا من سيرته، ولا من ديوانه الذي بين يدينا، ولا من دواوينه الأخرى.

وفي زيارته الأولى هذه إلى شيفيلد لزيارة ابنه أحمد شاء الله أن يرزق بحفيده الأول "عمرو" كما يظهر من مطلع القصيدة، إذ يقول:

قد عشتُ حتى رأيتُ أحفادي بعد اعتساف النَّوى بأكبادي!

رأيتُ فيهم حبالِيَ اتَّصلتْ بوالدي راحلاً، وأجدادي [١]

ويدعم شاعرنا الفرحة بمولد هذا الحفيد الجديد كما يبيّن هذا عنوان القصيدة" **يا بسمة في حديد مبتسمي**" بالتناص مع الخليل إبراهيم عليه السلام الذي ابتهل إلى الله حامداً شاكرا ربه أن وهبه على الكبر إسماعيل وإسحاق، في قوله تعالى:(**الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق)** [٢]، إذ نلتقط ثلاث إشارات دالّ على ذلك، **الأولى:** إشارته إلى ميلاد عمرو في بلاد الإنجليز الباردة بعيدا عن مصر، على كِبَرٍ من جَدّه، إذ يقول في مقدمة النص:" **رزق الشاعر بحفيده: عمرو... وقد استقبلت هضاب إنجلترة الباردة في شيفيلد أول نسمات الحياة لهذا الوليد الذي جاء بعد كبرة من سن جده الشاعر...** "[٣]، **والثانية:** الحمد لله الذي وهبه الجلد والصبر ومقاومة السنين، وذلك في حديثه في الأبيات الأولى ، فيقول:

---

(١) من وحي الأكباد النازحة، ٢٥.

(٢) سورة إبراهيم: آية رقم:٣٩.

(٣) من وحي الأكباد النازحة: ٢٥.

الحمـــــد لله! لم أَضِـــــقْ أبـــــدًا بـــــرائحٍ في الحيـــاة أو غـــادي
قد عشت لم أحتفل ـعلى زمـــني ـ بنـــائحٍ في الريـــاض أو شـــادي
مرت عليَّ الـــسنونُ مـــا عـــصفتْ بقـــامتي، أو رمـــتْ بـــأجلادي
مـــاضٍ علـــى الخطـــب...لا أقابلُـــه إلا بقلب للخطـــب معتـــاد... [1]

والثالثة: التنصيص على اسم الوليد الجديد(عمرو) مرتين في النص، وهذا التنصيص دلالة على الفرح بالمناسبة التي حلت في داره بلا شك، وهو يوم كبيرٌ، ذاك الذي ولد فيه أول حفيد، بل يراه أقرب إليه في نفسه من فرحه بذكرى ميلاده التي تقارب زمنا ميلاد حفيده، فالشاعر ولد في التاسع عشر من أغسطس، وعمرو ولد في تاريخ مقارب، كما يشير تذييل القصيدة [2]، ويظهر ذلك الفرح والتنصيص على اسمه مرتين في قوله:

الحمـــــد لله! يـــــوم آنـــــسني بناضـــــرٍ في الغـــصونِ ميَّـــادِ..
رُزقتُ (عَمْراً).. وما رزقتُ ســـوى عـــودٍ نـــضير يـــزين أعـــوادي
مجيئـــهُ كـــان عيـــدَ أســـرتنا بل كـــان – والله –راس أعيـــادي
جـــاء علـــى كَـــبرةٍ... فأنجـــدني يا لكَ من مُـــسعفٍ، ومنجـــاد..!
يا بـــسمةً في جديـــد مبتَـــسمي ، ونغمـــةً في حـــديث إنـــشادي..
ميلادُك الحلوُ مولـــدي... فلقـــد جدَّدت يا عمرو عيـــد مـــيلادي[3]

وفي السنة التالية ١٩٧٥م يزور البرازيل لأول مرة، وكانت زيارة حافلة بالمواقف والأحداث والفعاليات والعواطف، زيارة لا تدانيها زيارة، وصفها

(١) من وحى الأكباد النازحة : ٢٥.
(٢) انظر: المصدر السابق: ٢٦.
(٣) المصدر السابق: ٢٥.

ووثق أحداثها في عشر قصائد كاملة من ديوانه، ومن خلال تتبع الأحداث في هذه الزيارة وتلمس الإشارات التي حفلت بها عتبات النصوص، ومتونها يمكننا ترتيب تلك النصوص زمنياً في التسلسل التالي:

١-القصيدة التاسعة عشرة" تحت أفياء عبقر".
٢-القصيدة الرابعة عشرة" لقاء على أرض الغربة".
٣-القصيدة الحادية والعشرون "عربية غريبة اللسان".
٤-القصيدة السادسة والعشرون "على شلالات فوس دي اجواسو".
٥-القصيدة الثالثة عشرة" الخالدان تلاقيا".
٦-القصيدة الرابعة والعشرون" ليس لي حيلة".
٧-القصيدة العشرون" كم أرقنا من أجلهم".
٨-القصيدة الخامسة والعشرون" عاد الشباب إليّ".
٩-القصيدة الثالثة "سأظل أذكرها مدى عمري".
١٠-القصيدة الثانية والعشرون "في بيت أكبادي حللت".

ومن خلال هذا الترتيب يمكننا تتبع تلك الأحداث التي واكبت رحلته البرازيلية الأولى.

فلدى وصول الشاعر محمد عبدالغني حسن لمدينة ساوباولو بالبرازيل في أول زيارة له لأبنائه النازحين في **أواخر شهر مارس من عام ١٩٧٥م** احتفى به المهجريون، وأقاموا له مآدب كثيرة وثقتها أشعاره، وكرر الإشارة إليها في مقدمات قصائده، من مثل قوله:"حين كان الشاعر في البرازيل لزيارة أكباده النازحين، أقيمت له مآدب وحفلات كثيرة، منها المأدبة الكبيرة..."[١]، وتلك المآدب منها ماهي عامة أقامتها الجالية العربية في ساوباولو، ومنها ما أقامها

(١) انظر : المصدر السابق: ٨ .

أدباء مهجريون بشكل خاص، **وأول** شخص كرمه واستضافه لدى وصوله إلى البرازيل في رحلته الأولى هو الأديب المهجري المعروف شفيق معلوف، وقد وثقت هذا التكريم وتلك الاستضافة قصيدتُه" **تحت أفياء عبقر**"، والتي قدمها بقوله:"أقام الشاعر المهجري شفيق معلوف في نادي زحلة بسان باولو مأدبة غداء حافلة لصاحب الديوان وقرينته..." (١)، وأكد أسبقية هذا التكريم وأوليته في أكثر من موطن في قصيدته هذه، ففي مطلعها يقول:

يا مَن بدأتَ مسبِّقًا بحفاوتي، إن التخلُّف عن نداك عقوق! (٢)

فسبق شفيق للتكريم ودعوته لا يمكن لهما أن يردا، ولا يملك شاعرنا الخيار في رده، بل إن رده عقوق، وشرح هذا العقوق بإشارة لطيفة إلى العلاقة القديمة التي كانت تربطه بالعلامة عيسى إسكندر المعلوف والد شفيق، في قوله:

لله درُّ أبيك حين عرفته فإذا به جبلٌ أشمُّ عريق

كان البقيةَ من كرامِ معاشرٍ بهمُ اهتدى دربٌ، وَضاءَ طريق... (٣)

وأكد ذلك السبق من شفيق معلوف إلى تكريمه، في خاتمة القصيدة، بقوله:

لله دَرُّكَ! في وفائك سابقاً ما كادَ يَلْحَقُ خطوتيه سَبوق

أشفقتَ يَسبقك الكرام ففُتَّهُمْ بَدأً، ولا عجبٌ فأنت (شفيق) (٤)

---

(١) من وحي الأكباد النازحة : ٣.

(٢) المصدر السابق: الصفحة نفسها.

(٣) المصدر السابق: ٣٨، وهمش الشاعر على كلمة " أبيك" البيت الأول بقوله: "تعرف صاحب الديوان على العلامة عيسى إسكندر المعلوف من زمن بعيد".

(٤) المصدر السابق: ٣٩.

وهمش الشاعر هذا البيت الأخير، مؤكدا تلك الأولية بقوله: "كان تكريم شاعر الأهرام من شفيق معلوف في نادي زحلة أول مواكب التكريم التي أقيمت للشاعر الزئر المصري..."(١).

وبعد التكريم الشخصي الأول له من الشاعر شفيق معلوف يتوالى الاحتفاء به، وتنهال عليه المآدب، وهنا تأتي قصيدة "**لقاء على أرض الغربة**" التي توثق أول احتفاء عام تقيمه الجالية العربية الكبيرة في ساوباولو لشاعرنا الزائر، وذلك في **مطلع شهر إبريل ١٩٧٥م**، ويقدمها مؤكدا صنيع الجالية هذا بقوله:"احتفلت الجالية العربية في سان باولو بالشاعر في خلال زيارة لأكباده النازحة، فألقى القصيدة الآتية في إحدى حفلات تكريمه"(٢)، فهو هنا يؤكد بشكل واضح أن حفل التكريم هذا أقامته الجالية العربية، ويشير في مطلعها إلى سروره بوصوله إليهم بقوله:

جئتُ والأعياد فـــيكم تتـــوالى لأرى العـــزَّة فـــيكم والجـــلالا (٣)

ولعله يقصد بالأعياد هنا عيد المولد النبوي، فقد وصل شاعرنا إلى البرازيل في مارس ١٩٧٥م وهو يوافق حينذاك شهر ربيع الأول، والمهجريون عموما مسيحيون ومسلمون يحتفون بتلك المناسبة في تلك الفترة ويشاركون فيها بأشعارهم، وقصيدة الشاعر المهجري المسيحي إلياس قنصل" **مطولة النبي العربي الكريم**"(٤) في النبي محمد صلى الله عليه وسلم خير مثال على ذلك، بل تعد من أفضل ما مُدح بها النبي محمد عليه الصلاة والسلام في العصر

(١) المصدر السابق: الصفحة نفسها.

(٢) من وحي الأكباد النازحي : ٢٩.

(٣) المصدر السابق: الصفحة نفسها.

(٣) مطولة (النبي العربي الكريم) التي نظمها إلياس في مدح النبي عليه السلام، ومطلعها:

ماذا تهم طوارق الحدثان خلق الجهاد لكل ذي وجدان

الحديث، وقد أشاد الشاعر محمد عبدالغني حسن بإلياس قنصل ومّجد صنيعه هذا بقوله –عندما حالت الظروف بينهما، وصعب اللقاء– في إحدى قصائده:

ما إن نسيتُك مـذ عرفتـك لحظـةً، أين المـروءة فيـك أن تنـساني؟

حاشـى لمثلـك في الوفـاء لقومـه أن يطمـئنَّ لعـالم النـسيان!

أوَما رأيتـك أمـسِ ترسـم لوحـةً وتصوغها من أصـدقِ الألـوان؟

أحـسنتَ فيهـا سـيرةً (لمحمـدٍ) ، فبلغـتَ فيهـا غايـة الإحـسانِ

وأضـفتَ نحـو المـسلمين ودينـهم خيرَ الـذي أدلى بـه نـصراني..

ووقفتَ في التـاريخ وِقفـة منـصفٍ عالي الحقيقة، مُقـسط الميـزان[1]

وعلى شاكلة إلياس قنصل شعراء كثر[2]، وثقت تلك الروح وتلك النصوص جلُّ المصادر المهجرية[3]، وفي القصيدة التي ألقاها شاعرنا محمد

---

(١) من وحي الأكباد النازحة: ٥٣.

(٢) من أبرز هؤلاء رشيد الخوري الملقب بـ" الشاعر القروي"، في قصيدته الشهيرة، التي مطلعها:

عيد البرية عيد المولد النبوي في المشرقين له والمغربين دوي

وإلياس فرحات، في قصيدته الشهيرة في مدح النبي محمد عليه الصلاة والسلام، ومطلعها:

غمر الأرض بأنوار النبوة كوكب لم تدرك الشمس علوّه

وجورج سلسلمي، في رائيته ذائعة الصيت، التي مطلعها:

ياسيدي يا رسول الله معذرة إذا كبا فيك تبياني وتقصيري

(٣) **ومن تلك المصادر: أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية، جورج صيدح، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط٣، ١٩٦٤م:٤٤–٥٠، والشعر العربي في المهجر، محمد عبد الغني حسن، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط٢، ١٩٥٨م:٢٢، شعراء العصبة الأندلسية في المهجر، د. عمر الدقاق، منشورات دار الشرق، بيروت، لبنان، ط٢،**

عبدالغني حسن في ذاك الحفل الكبير الذي أقامته الجالية العربية في ساوباولو طرق موضوعين مهمين، وتيمتين رئيستين، رددهما كثيرا في ديوانه؛ أولهما : عتابه لأبنائه الذين غادروا مصر بحثا عن سعة الرزق في غيرها، وشعروا أنها ضاقت بهم على رحابتها، وثانيهما: أن من أبرز الدوافع التي قادت بنيه نحو البرازيل، وجهة ومهجرا تعرفُهم على سير الرواد المهجريين الناجحة؛ فاتخذوها مثالا وأنموذجا يحتذى، فيقول:

وأرى بيـــــــــنكُمُ أفلاذَنـــــــــا ... يتحدَّون علـــى الأرض الجبـــالا

خرجوا من "مصرَ" مُذْ ضـــاقت بهـــم ... واديا خصبا، وســـهلا، ورمـــالا

هجـــروا العُـــشَّ الـــذي أنْبَـــتَهُم، ... وابتغوا في ســـعة الأرض مجـــالا

المـــنى مـــلءُ يـــديهم، والعُـــلا ... تترضَّـــاهم يمينـــا وشمـــالا

وجـــدوا في الأرض منـــأى واســـعا ... لأمـــانيهم، وأســـبابا طـــوالا

عرفـــوا الـــرُّوَّادَ مـــن نـــزاحكم ، ... فابتغوا فـــيهم مثـــالا ومثـــالا[1]

١٩٧٨م:٦٢، وأدب المهجر، د. عيسى الناعوري، دار المعارف، مصر، ط٣، ١٩٧٧م، ص:١١٥، وأثر التيارات الفكرية والشعرية الغربية في الشعر الحديث (١٨٠٠-١٩٧٠م)، أ. د. س. موريه، ترجمة د. شفيع السيد ود. سعد مصلوح، منشورات الجمل، بيروت، ط١، ٢٠١٤م، ص:١٢١-١٢٢، والعرب في الأرجنتين: النشوء والتطور، د. عبد الواحد إكمير، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٠م:١٢-١٩، والأثر الإسلامي في شعر المهجر الجنوبي، إعداد عبد الرحمن بن أحمد الشقير، إشراف أ.د. حسين علي محمد – غير مطبوعة- = =رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الأدب العربي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية اللغة العربية، قسم الأدب،١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م: ٧.

(١) من وحي الأكباد النازحة: ٢٩.

وفي هذه القصيدة وغيرها من القصائد السابقة واللاحقة لا يني يكرر عبارات الشكر والتقدير للمهجريين الذين احتفوا بأبنائه، وكرموه بإكرامهم، وأحاطوهم بالعطف والرعاية في غربتهم، وهو جميل طوقوا به عنقه، فهو هنا يقول:

كَـــرَّم الله رجـــالا كرَّمـــوا فيَّ أبنـــائي، فـــزادوني احتفـــالا

مسحوا الغربة عنـــهم، وسَـــقو هُـــمْ مـــن الحـــبِّ معينـــا، وزلالا...

طوّقوا عنقْـــيَ مـــن أفـــضالهم ثم أعْيَـــوني لـــسانا، ومقـــالا..

إن مـــن مـــدَّ لأبنـــائي يَـــدًا مـــدَّ لي منـــه يمينـــا، وشمـــالا...

هكذا الـــشِّعرُ الـــذي علَّمنـــا أننـــا نحفـــظ للنـــاس الفِعـــالا..

ما أضَعْنا الحُبَّ مذ كنا صـــغارا أنُضيِّع الحبَّ مذْ صـــرنا رجـــالا؟؟[1]

وتأتي بعد هذه القصيدة في الترتيب الزمني ضمن رحلته الأولى للبرازيل عام ١٩٧٥م قصيدة" **عربية غريبة اللسان**" وفيها يناقش مآسي الهجرة، وبعض هموم المهجريين، في حديثه عن واقع الجيلين الثاني والثالث – حينذاك- من أجيال المهجريين، فيصور ذلك في فتاة عربية نسيت لغة أهلها، وأضاعت لسان قومها، ويقدمها بقوله:" التقى الشاعر في سان باولو بفتاة جميلة تتكلم البرتغالية، ولا تعرف من العربية حرفا، مع أنها عربية الآباء والأصول في المهجر... فأثارت مساوئ الهجرة والاغتراب في نفسه الخواطر التالية..." [2]، فهو هنا يفصح عن المغزى الرئيس من النص، وهو الحديث عن مساوئ الهجرة، وجنايات الاغتراب، والتي بدأت –آنذاك- تظهر على الجيلين الثاني والثالث من أجيال المهاجرين، وأبرز تلك الجنايات ضياع اللغة العربية من ألسن العرب

(١) من وحي الأكباد النازحة: ٣٠

(٢) المصدر السابق: ٤٢.

المهجريين؛ بسبب ذوبانهم في المجتمعات التي هاجروا إليها، وشاعرنا هنا ينشئ نصا حواريا مع تلك الفتاة العربية التي حدثته بالبرتغالية/ لغة البرازيليين، واستعصت عليها العربية، فصور ذلك قائلا:

ثم حـــــدثتُها... فلـــــم تتبـــــيَّنْ من حديثي فصلا، ولا بعضَ فـــصلِ..

الإشـــارات بيننـــا قـــد أبانـــت، فهي عنـــد الإيمـــاء جهـــد المُقِـــلِّ..!

قلتُ –والـــنفس تلتظـــي حـــسراتٍ والأســـى لفَّـــني بعُلـــوي وسُـــفلِي–:

يا ابنة العُرْب قـــد أضـــاعك قـــوم لا يُـــضيْعُون جـــارهم بـــالتخلي..!

كيف أصـــبحتِ في البرازيـــل طـــيرا أعجمـــيَّ اللـــسان، نـــائي المحَـــلِّ؟

كيف يا أختِ صـــرتِ همـــزةَ قطـــع ما ألـــذَّ الحـــسانَ همـــزةَ وَصْـــل! (١)

ولما لم يجد لسؤالاته– تلك التي أثارها –جوابا راح يلقي اللوم على البعد والاغتراب اللذين أبانت عنهما كلمة(النوى)، ثم راح كذلك يسلي نفسه بما يجمع بينه وبينها، فالغربة وحدتهما، وهو في غربة ومأساة ربما يفوقان غربتها ومأساتها، ولذا ختم النص بقوله:

غيَّرتـــك النُّـــوَى... ولكـــنَّ شـــيئا من تـــراث الآبـــاء يـــسلُب عقلـــي!

عطفـــتْني عليـــك أَوْصـــالُ قـــومي، جـــذبتني إليـــك أســـبابُ أهلـــي

لـــيس بِـــدعاً إذا هـــواكِ دعـــاني، وأنـــا الـــشيخ فانقلبْـــتُ كطفـــل..!

إننـــا ههنـــا غريبـــان... لكـــن شهد المجد أن أصـــلكِ أصـــلي... (٢)

والدلالات النفسية في قوله:" إننا ههنا غريبان" لها من الحمولات والدلالات ما لها، فهو دوما ما يعود في مثل هذي المواقف فيتذكر ما يحمل من اغتراب،

(١) من وحي الأكباد النازحة: ٤٢.
(٢) المصدر السابق: ٤٣.

وما يحمل من هموم ثقال، تجعله يشعر بأن مرارته في نفسه تقارب أو لربما تفوق ما يعيش الناس من مرارات، أو ما لحقهم من نقص وأضرار وعذابات.

ونصل في هذه الزيارة – الأولى لشاعرنا إلى البرازيل عام ١٩٧٥م –إلى قصيدته" **على شلالات فوز دي اجواسو**" التي يأتي ترتيبها زمنيا رابعةً في سلسلة نصوصه التي كتبها في هذه الزيارة، حيث تصور هذه القصيدة اتجاهه نحو جنوب البرازيل؛ إذ غادر ساوباولو في الأسبوع الثاني من إبريل تقريبا متجها إلى لمدينة الأجمل في البرازيل، بل ربما في النصف الجنوبي من الكرة الأرضية وهي مدينة فوز دو اقواسو، أو كما يسميها العرب هناك " الفوز"، أو كما يطلق عليها شاعرنا اجواسو، وهي تقع في المنطقة الحدودية المثلثة، على ضفاف النهر الشهير "برنا"، والمقصود بالمنطقة المثلثة: حدود الدول الثلاث (البرازيل، الأرجنتين، الباراجواي)، ومطلع القصيدة:

أنا منكَ في كَنَـــف الـــصديق الحـــاني، أحيَا بظلِّ الـــشاعر الإنـــسانِ[١]

وكان يهدف من هذه الزيارة أو الرحلة إلى تحقيق أمرين، هما: زيارة شلالات كتاراتاس الشهيرة بمدينة الفوز، وكذا عبور الحدود بين البرازيل والأرجنتين، من خلال النهر لزيارة الأديبين المهجريين إلياس قنصل، وأخيه زكي، نزيلي بوينس آيرس؛ وقد أشار إلى هذين الهدفين في تقدمة القصيدة بقوله: "عَبَر الشاعر حدود البرازيل ليشهد شلالات فوس ديجواسو الرائعة التي تفوق شلالات نياجرا، وكان في نيته أن يزور صديقه الشاعر المهجري إلياس قنصل في بونس إيرس عاصمة الأرجنتين ...ولكن خاف طول الطريق، فعاد إلى أكباده بسان باولو، واعتذر لصديقه..." [٢]، وقد تحقق له من زيارته هذه

(١) من وحي الأكباد النازحة: ٥٣

(٢) المصدر السابق: الصفحة نفسها.

الهدف الأول، ولكن فاته الثاني، فكان أن كتب هذه الاعتذارية الرائعة، وبيَّنَ ملابسات ماحدث له في هذه الرحلة، أو الجولة السياحية بتعبير أدق بقوله:

أأخي! ومثلُــك في وفائــك نــادرٌ ... في عـــــالم يلتـــــفُّ بـــــالنكران

إني حَرَصتُ على لقائــك حينمــا ... أنْـــأتْنيَ الفلـــذاتُ عـــن أوطـــاني

وحسبتُ في (بَرَنا)[1] أراك، وأنــني ... ســتفوز مــن سَــفَرٍ بــك العينــان

وظننتُ أنك (والزكيَّ)[2] مُــواجهي ... يومـــا، وأنكمـــا أمـــام عيـــاني!

لكن رَجَعتُ من الحــدود بخيــبتي، ... وظفرت _بعد الجهــد_ بالخــسران!

قــد قيــل لي إن الطريــق إلــيكمُ ... الــنجمُ أدْنَــى منــه في الإمكــان!

فنفضتُ عن نفسي غبار ترحُّلــي، ... وضحكتُ من نفسي! فما أغبــاني! [3]

فهو وعد إلياس قنصل بعبور الحدود إليه في الأرجنتين ظناً منه بأن ذلك أمر ممكن، ولكن عندما وصل للنهر تبينت له الحقيقة، وهي بعد المسافة وكذا وعورتها، وأهم صعوبة هي عبور النهر في القارب، وغالبا ما يكون النهر هادراً في إبريل، فلذا كان الخيار الوحيد أمامه هو الاعتذار من إلياس، والعودة لساوباولو.

وهذه القصيدة أشار فيها شاعرنا لأمرين مهمين، هما: إشادته بإلياس قنصل في مطولته الرائعة التي مدح بها رسول الله صلى الله عليه وسلم "مطولة النبي العربي الكريم"، وقد أشرت إلى ذلك من قبل، وثانيهما: وصفه الرائع لشلالات

---

(٣) برنا: نهر كبير في البرازيل والأرجنتين، وتقع الشلالات على أحد روافده.

(١) هو الشاعر المهجري زكى قنصل، شقيق إلياس.

(٣) من وحي الأكباد النازحة: ٥٤.

فوز دي اقواسو، وتصويره لذلك المكان بريشة الفنان، وكذا تأمله المحلق لما فيه من عجيب صنع الخالق، فيقول:

ولقد وقفتُ على تخوم ديـــاركمْ، والماءُ في "الشلال" كالطوفان

وأرى رذاذ الماء وهْـــو يـــصيبني، فينالُ من عِطفي، ومن أرداني

وعَلا الضبابُ على الهضاب.. كأنما أتتِ السماءُ مُبِينةً بـــدخان..

خُضنا إليك النهر فـــوق ســـفينة أزرى بصفحة وجهها الشطَّانِ

ما إن يقـــرُّ لمنكبيهـــا مـــضجعٌ، أو يستقرُّ على المدى جنبـــان!

هي لا تزالُ _الدهرَ_ بين مـــودِّعٍ ومودَّعٍ.. ومُباعدٍ، ومُـــداني[1]

ومن أبرز ما يلفت الانتباه لزائر ذلك المكان- وقد زرته مرارا- هدير الشلال المدوي في الآفاق، وشعور المرء بعظمة الخالق، وهو يشاهد تلك القوة العظمى من الأمواج والهدير وألوان الطيف التي لا تبارح المكان والضباب المخيم طول النهار، والأفق الممتد للشلال، وحينها يبصر الإنسان ضعفه وعجزه وحقارته، وهو ما أبدع شاعرنا في تصويره، بقوله:

إني نسيتُ على هدير مياههـــا مـــا كـــان في نفـــسي مـــن البـــهتان!

فشعَرتُ فوق جلالها بتفاهتي، وعلـــى ضـــخامتها عرفـــتُ هـــواني

وعلى دويِّ الماء فوق صخورها ضـــاع الـــذي أبقيـــتُ مـــن ألحـــاني..!

وهناك طامَنَ من غروري أنني _مهما علا قدري _ صغيرُ الـــشانِ..! [2]

وطبعا لم ينس شاعرنا في قصيدته- كشأنه في سائر نصوصه- الحديث عن أبنائه النازحين، وغربته والحنين، بدأً من قوله:

---

(١) من وحي الأكباد النازحة: ٥٤.

(٢) المصدر السابق: ٥٥.

إني ذَرعتُ الأرضَ نحو أحبَّتي يقتادني حُبي لهم وحنـــاني[1]

إلى خاتمة القصيدة.

وبعد زيارة حافلة بالمشاهد والرؤى لمدينة فوز دو اقواسو في جنوب البرازيل يعود شاعرنا إلى ساوباولو لاستكمال برنامج رحلته، وهنا نصل إلى القصيدة الخامسة من نصوصه الموثقة لهذه الرحلة وهي قصيدة" **الخالدان تلاقيا**"، وهي توثق أنه في **نهاية إبريل من هذا العام ١٩٧٥م**، وبعد عودته من رحلة فوز دو اقواسو أقامت له الجالية العربية حفل توديع في نادي جبل لبنان، وهو ختام الحفلات العامة، والمآدب الكبيرة التي أقامتها له الجالية العربية، ومطلعها:

أأنـــا هنـــا في مـــصرَ أم بالـــشام؟ المجد خلفي، والخلـــود أمـــامي [2]

وفيها يطرق معنى آخر طالما كرره في شعره الرحلي، وهو شكره لأبنائه المغتربين الذين لولاهم لما كان هنا بين يدي هؤلاء المهجريين الكبار والأوفياء، فيقول في هذه القصيدة:

ما كدتُ ألقاكم، وألمـــس بـــرَّكم حتى لقيـــتُ الحلـــوَ مـــن أيـــامي

كان اغترابُ بـــنيَّ نعمـــةَ شـــاكر لله، صـــــــبَّارٍ علـــــــى الآلام

أَوَمـــا أتـــاحوا لي لقـــاء أحـــبتي خلفَ المحـــيطِ الزاخـــر المترامـــي؟

كـــم نقمـــةٍ لله عـــادت نعمـــةً! كم مطلعٍ للصبح بعـــد ظـــلام! [3]

ولكثرة دوران هذا المعنى في ديوانه، ولاهتمامه به عنون به لقصيدة من قصائده، وهي: "**شكراً لأبنائي الذي تغربوا**"[4].

---

(١) المصدر السابق: الصفحة نفسها.
(٢) من وحي الأكباد والنازحة : ٢٧.
(٣) المصدر السابق: الصفحة نفسها.
(٤) المصدر السابق: ٥٦.

وتشير مقدمة قصيدته التي مرت معنا " الخالدان تلاقيا" إلى أن مأدبة الجالية العربية تلك، التي ألقيت فيها كانت توديعاً له؛ بمناسبة اعتزامه مغادرة البرازيل، والعودة إلى الديار، إذ يقول: "أقام أدباء المهجر وشعراؤه في نادي جبل لبنان بمدينة سان باولو حفل توديع للشاعر بمناسبة عودته إلى مصر بعد زيارة أكباده النازحين، فألقى على المحتشدين ..."[١]،فهو هنا يؤكد أن هذا الاحتفال كان احتفال توديع، وذيلت القصيدة في ختامها بـــ "سان باولو- أبريل سنة ١٩٧٥م"، ولكن حدث له مالم يكن في الحسبان، إذ فاجأه مرض عاصف، وداهمه التهاب في المرارة موجع، ويضطر معه للبقاء في البرازيل شهراً كاملا، وهذا الشهر صورته النصوص التالية، بدأً من دخوله المستشفى كما نرى في قصيدة "**ليس لي حيلة**" أو بقائه في المنزل بعد العملية في قصيدة "**كم أرقنا من أجلهم**" أو المآدب الخاصة اللاحقة التي أقيمت له بعد شفائه، كما في القصائد: "**عاد الشباب إلي**"، و"**سأظل أذكرها مدى عمري**"، و"**في بيت أكبادي حللت**".

فقصيدة" **ليس لي حيلة**" كتبها وهو في المستشفى إذ أجريت له عملية جراحية في نهاية أبريل، يقول في مقدمتها:" أهدى الشاعر المهجري فيليب لطف الله نسخة من ديوانه (حصاد الأيام) إلى الشاعر وهو يكابد جراحة استئصال المرارة بمستشفى ساوكاميليو بالبرازيل، فأثارت الزيارة والهدية هذه الأبيات..." [٢] ، فزيارة الشاعر الكبير فيليب لطف الله له في المستشفى بعد إجراء العملية وملاطفته بالهدية كان لهما أكبر الأثر في نفسه، على أن علاقته بفيليب لطف الله قديمة، وجد وثيقة لا تفوقها علاقة له بمهجري آخر سوى شفيق معلوف، فنجد أن تقدير شاعرنا لفيليب كثيراً ما يتردد في نصوصه، ففي

(١) المصدر السابق: ٢٧.

(٢) من وحي الأكباد النازحة: ٤٩.

القصيدة التي ألقاها في حفل توبع الجالية له- آنف الذكر -يشير بوضوح للأيادي البيضاء لفيليب عليه بقوله:

شكرا (للطـــف الله) حـــين أنـــالني منـــه مكـــان الحـــب والإكـــرام..

أضْفَى عليَّ مـــن البيـــان ســـبيكةً قد وطَّدت في الخالـــدين مقـــامي!

مـــازال يمـــنحني بـــديع صـــفاته ويزيـــدُ مـــن إعظامـــه إعظـــامي!

حتى كـــأني نفحـــةٌ مـــن مـــسكِه أو حفنـــةٌ مـــن خُلْقـــه المتـــسامي

أنـــا لا أبادلُـــه الثنـــاء؛ مخافـــةً أن لا تقـــومَ بطُهـــرِه آثـــامي!! (١)

وهذه القصيدة:" **ليس لي حيلة**" في ذكرى زيارته له في المستشفى، والقصيدة التالية لها زمنيا" **كم أرقنا من أجلهم**" كانت على إثر زيارة فيليب له في دار ابنه يحيى بعد خروجه من المستشفى وقضائه وقتاً للنقاهة، والقصيدة التي بعدها " **عاد الشباب إلي**" هي في شكر فيليب على المأدبة الحافلة التي أقامها له، فـــ "**ليس لي حيلة**" شكر فيها فيليب لطف الله على الزيارة وما فيها من لفتة إنسانية حانية، وكذا إتحافه بالديوان الذي جاءه وهو يعاني الأمرين، مُرّ الغربة وألم التهاب المرارة، وفيها يشكو قائلا:

الحصاد الـــسمين وافَـــى فوافـــت معـــه كـــلُّ روضـــة معطـــاره

جاءني والحـــصا يمـــزّق جـــسمي، والليـــالي يـــرمينني بالحجـــاره..

أَو لَـــمْ يكفِـــني تغـــرُّبُ أولا دي، وصبري على الخطوب المثاره؟

جئـــتُ أَهْنـــا بـــساعةٍ في حمـــاهمْ، فـــإذا الـــداء مُنـــشِبٌ أظفـــاره..

ليس لي حيلةٌ على عَنَـــت الدهـــ ـــر، ولا أتَّقـــي بجـــسمي شِـــفَارَه...

تلـــك –والله– يافيليـــبُ ظـــروفي ليس فـــيهن موضـــعٌ لاســـتعاره!

(١) المصدر السابق: ٢٧.

إن دائـــي القـــديمَ عـــاودني اليـــو ... مَ فأُصْـــلِيتُ بالتعـــذب نـــاره

حـــسبُهُ الله مـــن عـــدو قـــديم ... في كيـــاني، وعلـــةٍ غـــداره..!

كان طبعي حُلوا كمـــا زعمـــوني، ... فلمـــاذا مـــصيبتي بـــالمراره؟![1]

وبعد خروجه من مستشفى "ساو كاميليو" قضى مدة الزمن في منزل ابنه يحي بساوباولو، وزاره كثير من المهجريين، وقصيدة " **كم أرقنا من أجلهم**"؛ وثَّقت إحدى تلك الزيارات، وهي زيارة الأديبين المهجريين فيليب لطف الله وماريانا دعبول، وفي مقدمتها يشير إلى ذلك بقوله:" نظمها الشاعر حين زاره الثري الشاعر الإنسان فيليب لطف الله والسيدة الأدبية ماريانا دعبول فاخوري في منزل ولده المهندس "يحيي" لعيادة صاحب الديوان في علته الخطيرة بالمرارة ..." [2]، ويصف فيها الأثر الكبير لتلك الزيارة، بقوله:

رُبَّ ليـــلٍ حَمِـــدتُ منـــه نهـــارهْ ... حينمـــا جـــاءني بـــأحلى بـــشارهْ!

زارني الحـــبُّ والمكـــارم... لمـــا ... فزتُ من نحـــوكم بـــأحلى زيـــاره!

جئتمـــا كـــالربيع يبعـــث نفْحـــاً ... مـــن بـــواكيره، ويحمـــل شـــاره

لكما الفـــضل في الرقـــاب فعُـــذرا ... إن كبا الـــشعر باســـطا أعـــذاره[3]

ويشير فيها إلى موضوع الديوان الرئيس، وهو بيان ما لحقه من جراحات وهو يركض في رحلاته نحو البنين النازحين، بقوله:

دفعـــتني إلى بـــنيَّ ميـــولٌ ... عاصـــفاتٌ، شـــديدة، مـــوَّاره

نزحوا والـــضلوعُ تَهـــوِي إلـــيهم ... والحنايـــا علـــيهُمُ منـــهاره...

---

(١) من وحي الأكباد النازحة: ٤٩.

(٢) من وحي الأكباد النازحة: ٤٠.

(٣) المصدر السابق: الصفحة نفسها.

والليـــالي تمـــرُّ ســـوداً علينـــا ، والأضـــاحي مملـــوءة بـــالمراره...

كم أرِقْنـــا مِـــن أجْلـــهم وشَـــرِقنا بدموع مثل الـــسُّيول غـــزاره.. (١)

وفي هذه الزيارة يلح عليه الأديبان المهجريان الزائران فيليب ومريانا لقبول الدعوة لزيارتهما، وتحقيق رغبتهما في بعث لقاءات التكريم من جديد، وذلك بعد أن تحسنت صحته، وظهرت عليه مخايل العافية والإبلال من مرضه وعلته، فيستجيب شاعرنا لدعوتهما، ويلبي رغبتهما التي لا ترد، ويوثق مناسبتي زيارتهما- اللتين أعادتا حفلات التكريم ومآدب الاحتفاء من جديد - بقصيدتين رائعتين، هما "عاد الشباب إلي"، و" سأظل أذكرها مدى عمري".

فقصيدة "**عاد الشباب إلي**" ألقيت في الحفل الذي أقامه له فيليب لطف الله في نادي جبل لبنان- كما ذكر ذلك شاعرنا في مقدمة القصيدة (٢) – أعادت الأحاديث التي لطالما كررها شاعرنا في نصوصه كثيرا وهي أحاديث الرحلة ووصف السفر، ومعاناة الوداع، ولكنه كان يتحمل هو والرفيقة ذلك من أجل البنين، فيقول في مناسبة تكريم فيليب له بعد تماثله للشفاء:

أضـــفَى علـــيَّ اللهُ كـــلَّ صـــنيعة ممـــا أشـــيدُ بقَـــدره، وأبـــاهي...

فـــالأرضُ دانيـــة المنـــال لخطـــوتي، والأفـــقُ ممتـــدٌ بغـــير تنـــاهي...

وعلى عنان الجـــو كـــلُّ ترحُّلـــي، وعلى بساط الريح كـــلُّ رفـــاهي

أنـــا والرفيقـــة لائـــذان بربـــوةٍ، أو هائمـــان بـــصخرة وميـــاه..

نجتاز مـــن بلـــد إلى بلـــد... ومـــن أشـــباه جنَّـــات إلى أشـــباه...

ولنا علـــى أهـــداب كـــلِّ خميلـــة طـــيرٌ تركنـــاه بحفـــظ الله...

---

(١) المصدر السابق: الصفحة نفسها.

(٢) انظر : من وحي الأكباد النازحة: ٥١.

من كل فرخ كـــان بهجـــةَ عُـــشنا والآمرَ الأعلى، وكـــان النـــاهي!
نزحوا فكم من زفرة صعدتْ علـــى آثار غُربتـــهم، وكـــم مـــن آه!
مـــا زال يـــدفعني حنـــيني نحـــوهم، حتى التقتْ بميـــاههم أمـــواهي[1]

وفي التكريم التالي الذي أقامته مريانا دعبول ووثقته قصيدة "**سأظل أذكرها مدى عمري**"، وهذا التكريم هو التوديع الثاني الذي يحظى به، فقد ودعه المهجريون من قبل، ولكن بعد تأخره لشهر كامل بسبب الوعكة الصحية أعاد المهجريون توديعه، وهنا يكتب في مقدمة هذه القصيدة مشيراً لمناسبتها:" المأدبة الكبيرة التي أقامتها الصحافية: ماريانا دعبول فاخوري صاحبة "المراحل" وكانت هذه المأدبة الحافلة بأعلام الأدب والفكر والمال في سان باولو توديعا للشاعر وقرينته بمناسبة عودتهما إلى مصر... "[2]، وفيها – كعادته في أي نص يكتبه في الأيام الأخيرة لأي رحلة من رحلاته– يفصح عن شوقه الشديد إلى مصر، وحنينه إلى النيل والعشيات التي لا تدانيها عشيات، وترداد أن الغربة زاداته وهناً على وهن، وأنه لا يستطيع البقاء كثيراً، ويستغرب كيف يمكن لبنيه الصبر على فراق مصر، فيقول مبشراً زوجته رقية أحمد بدير:

أرقيتي! أرفيقـــةَ العمـــرِ! حان الرجـــوع إلى رُبى مـــصرِ
بشرى! فبعد غدٍ ترحُّلنا، وسترفع الأغلال عن إصري...
الدارُ بعد غـــدٍ تقابلنـــا بعد النوى بـــالأنس والبـــشر
داري أحقُّ بكلِّ عاطفتي، وأحـــقُّ بالإكبـــار، والفخـــر
فعلى جوانبها نمتْ كبدي، وعلى ملاعبها هفـــا صـــدري!

(١) المصدر السابق: الصفة نفسها.
(٢) من وحي الأكباد النازحة: ٨.

وعلى ضفاف النيل مجلسنا بين الجنان الفسيح، والخضر
"النيل" يُسمعنا حكايته ويقصها من أول الدهر ...
أرقيتي! أشريكةَ العمر حان الإياب فهيئي أمري!
الغربة النكراء ما برحت –والله– بين أضالعي تسري[1]

ومصر عنده لا تعدلها أرض، ولولا نزوح أبنائه عنها ما غادرها ولا ترحل، وتفضيله لها على غيرها من البلدان له ما يبرره، فيقول:

أرضي أعزُّ بكلِّ ما ملكت من كل ما في الأرض من تبر..
أنا لا أفضلها على بلدٍ إلا لما فيها من الخير
لولا البنون النازحون لما جمجمتُ بين البر والبحر
قلبي يسير وراهم جزعا متلفتا من شدة الذعر!
أنا والرفيقة خلفَ مجثمهم في الأرض من وكْرٍ إلى وكر[2]

وأفاض في شكره للمهجريين الذين كرموه مراراً، وأعادوا الاحتفاء بتوديعه مرة أخرى، وخص بالشكر المضيفة مريانا دعبول، التي احتفت بأبنائه قبل احتفائها به وبقرينته، فاحتفاؤها بهم قديم من أول يوم وصلوا فيه، وقد سبقت الإشارة لذلك في (المبحث الأول) عند تعليق شاعرنا على أحد النصوص التي ندت عن ديوان "**من وحي الأكباد النازحة**" وفيها ذكر لأبنائه، وعلق الشاعر هناك بقوله عنها: " كانت السيدة الفاضلة مريانا دعبول فاخوري كثيرة

(١) المصدر السابق: الصفحة نفسها.
(٢) من وحي الأكباد النازحة: ٨–٩ .

العطف دائما على أولادي المغتربين بالبرازيل دائمة الرعاية لهم، والسؤال عنهم، والتحفي بهم..." [١] ، ومما قاله فيها هنا في هذا المحفل:

بالله يا مــولاتي اتئــدي أنا من رحابك في ندى غَمــر

مالي كما أُلهمتِ من جَلدٍ مالي كما أوتيت من صــبر..

أنا قيدُ ما قدَّمتِ من كرم أنا عبدُ ما أوتيــتِ مــن بِــرِّ

أسديتِ للأبناء مكرمــةً سأظلُّ أذكرها مدى عمــري[٢]

وختمها بشكر كل من عادوه في علته، سواء في المستشفى أو في دار ابنه يحيى، وبين أن زياراتهم تلك كانت بلسما لجراحاته:

شكرا لمــن وافى فرحَّــب بي من ثغــره البــسام في ثغــري!

شكرا لمــن أهــدى إليَّ يــدا كَيَدِ المسيح تطــبُّ، أو تُــبرى

شكرا لعُوّادي ومــا صــنعوا حين الجراحةُ أوهنتْ صدري ...

إني نسيتُ بكم أسى زمــني، ونسيتُ ما لاقيتُ من دهــري[٣]

وحين حزم شاعرنا حقائبه عائدا إلى مصر بعد الوعكة التي أصابته، ولقاءات التكريم التي عادت من جديد يفاجأ بزيارة شاعر مهجري كبير له في داره في يوم سفره، وهو الشاعر إلياس فرحات نزيل مدينة بيلوهورزنتي، إذ يخصه بزيارة أثيرة، وثقتها قصيدته " **في بيت أكبادي حللت**" وهي آخر قصيدة توثق **رحلة ١٩٧٥م**، وفي مقدمتها يقول:" جاء الشاعر المهجري إلياس فرحات من مدينة "الأفق الجميل" بالبرازيل إلى سان باولو ليُحيِّي صاحب الديوان في بيت ولده" يحيى عبد الغني"، وكان صاحب الديوان في ذلك اليوم على أهبة

(١) سائر على الدرب: ١٤٣.

(٢) من وحي الأكباد النازحة: ٩.

(٣) المصدر السابق: ١٠.

الذهاب إلى المطار عائدا إلى مصر. وقد قدم "فرحات" إلى صديقة عبد الغني حسن قصيدة مؤثرة رقيقة، فرد عليه الشاعر بالأبيات التالية..." [1]، وفيها يثني على زيارته هذه، ويذكر فضله القديم فهو من رعى أولاده النازحين، ولعلنا نذكر أن فرحات هو أول من راسله شاعرنا موصيا بأولاده كما في قصيدة "**الطائر المهاجر**"، وفي حديث شاعرنا هنا عن إلياس فرحات يثني على نصه الخالد "**الخصلة**"[2]، ويشير إليها ملاطفاً ومكبرا ذلك الحب، فيقول:

يـــا نـــاظمَ الـــدرِّ الثميـــــ ـــنِ، وصـــاحبَ الـــشعرِ النقـــي

"الخـــصلة" الغـــراء مـــا ذا في المـــشيب بهـــا بقـــي؟

ســـارت مـــسيرَ الـــرُّوح في مـــــاءِ الـــــشباب الريِّـــــق

تَـــروي الـــشفاهُ ســـطورَها في مَغْـــــرب، أو مَـــــشرق[3]

ويشكره ويودعه في نهاية القصيدة، بقوله:

في بيـــت أكبـــادي حللـــــ ـــــتَ بـــسَمْتِكَ المتـــأنق..

وأشـــعْتَ في البيـــت الـــسُّرو رَ، وفي فـــــؤادي الـــــشيِّق

وبَـــــدوْتَ في داري صـــــبا حـــا كالـــصباح المـــشرق!

ســـلَّمتَ تـــسليم الـــودا ع، فيـــا دمـــوعُ ترقرقـــي!

---

(١) المصدر السابق: ٤٤.

(١) **إشارة إلى قصيدة إلياس فرحات المشهورة التي أولها:**

خصلة الشعر التي أعطيتنيها عندما البين دعاني للنفير

لم أزل أتلو سطور الحب فيها وسأتلوها إلى اليوم الأخير

(٣) من وحي الأكباد النازحة: ٤٤-٤٥.

مـــا كـــاد يُجمَـــعُ شملُنـــا حـــتى غَـــدَا لتفـــرُّق[1]

وإلياس فرحات هو آخر مهجري التقاه شاعرنا في هذه الرحلة، وهذا اللقاء هو- أيضاً- اللقاء الأخير بينهما إذ توفي إلياس في العام التالي ١٩٧٦م، ويغادر بعده شاعرنا ساوباولو باتجاه القاهرة، بعد أن قضى بين أولاده النازحين، وأصدقائه المهجريين ما يزيد على شهرين حافلين بمعاني الشوق والحب، والأدب الراقي الرفيع.

وتحل بنا سنة ١٩٧٦م وفيها نلتقي بأربع قصائد توثق هذه المدة الزمنية في ديوانه، ترصد بعضا من أخبارها، وتسرد مقطعاً من رحلاتها، أولها قصيدته" **شكراً لأبنائي الذين تغربوا**"، وهذه كتبها في أول هذا العام، فإثر عودته من رحلته إلى البرازيل عام ١٩٧٥م أهدى إليه الشاعر المهجري زكي قنصل ديوانه" عطش وجوع"، ومعه أبيات رقيقة، فرد عليه بهذه القصيدة التي يشكره فيها، ويشير إلى أنه وإن لم يحظ بلقائه في زيارته إلى البرازيل إلا أنه لم يغب عن باله منذ أن شرع في كتابه عن المهجريين وأدبهم الزاخر "**الشعر العربي في المهجر**"، وقد عرف-حينها- نبله من خلال أدبه الزاخر، ولا سيما ديوانه "**سعاد**"، وسعاد هي الطفلة الأولى لزكى قنصل وقد اختطفها الموت صغيرة فصنع فيها أبوها ديوانا كاملا، ومن خلال إبداعه هذا عرفه، وهنا يشكره شاعرُنا ويمجّدُ صنيعه، ويشكره على هديته، فيقول:

"عَطَشٌ وجوع" جاءني بـــذخيرة أقتَاتُ منها ما أشـــاء، وأســـتقي
هذا هو الشعر الذي نهفـــو لـــه في ذلك الزمن الجديب الـــمُملقِ..
إني لقيتُكَ في الضمير... وإن نكنْ يـــا صـــاحبي بعيوننـــا لم نلتـــقِ
منذ اتجهتُ إلى المهـــاجر باحثـــاً وأنـــا أهـــيم محلّقـــا بمحلِّـــق!

(١) المصدر السابق: ٤٥-٤٦.

أَرتادُ من عالي بيانــك روضــةً، وألوذ منــها بالخــصيب المــورق

كانت دموعك في (سعادَ) وسيلةً لتعــرُّفي، وذريعــةً لتعلقــي.. (١)

وفيها يشكر أبناءه الذين تغربوا- وهو المعنى الذي دار في شعره كثيراً، وسبقت الإشارة إليه-إذ من خلال أشواقه إليهم أدرك حقيقة الأشواق، ومن خلال الوجع والفقد استبانت له آلام المفجوعين، يقول:

شكرا لأبنائي الــذين تغربــوا فعرفتُ فــيهم حُرقــة المتــشوق

ما زلتُ أذكرُهُمْ بكلِّ دُجُنَّــة في مَغرب، أو روضــةٍ في مَــشرق

إني جمعتُ لهم مواجعَ شــاعر من شمليَ المتفــرق المتمــزق.. (٢)

وفي شهر مارس من هذا العام ١٩٧٦م يكتب قصيدته التأملية "**مازلنا نسير**"، وهي تدور حول الحياة وتقلباتها، والأقدار ودورانها، وفيها يشير إلى تشتت شمل أسرته، بقوله:

أَوَمــا كنــتُ وأكبــادي هنــا لم يفرقنــا أصــيلٌ أو بكــور...؟

شَمْلُنــا في عُــشِّنا مجتمــعٌ.. وليالينــا أغاريــدٌ ونــور...

فــإذا العُــشُّ الــذي أَلَّفَنــا حــدثتْ فيــه أمــورٌ وأمــورْ...

وإذا أكبادنــا نازحــةٌ... من وراء الظن، من خلــف البحــور(٣)

وفي مايو من هذا العام ١٩٧٦م يرحل شاعرنا نحو تونس، للمشاركة في مهرجان التوأمة بين مدينتي القاهرة والمهدية، وتوثق رحلته هذه قصيدة "**بعثتني خمائل النيل طيرا**" ويلقي قصيدته هذه بين يدي رئيس تونس-آنذاك- الحبيب

(١) من وحي الأكباد النازحة: ٥٦.

(٢) من وحي الأكباد النازحة: ٥٧.

(٣) المصدر السابق: ٢٠.

بورقيبة، وفيها يلح على أن هذه المناسبة وغيرها من مناسبات هي مما بقي له في حياته من عزاء، وهي مما يدخل عليه السرور الذي افتقده، فيقول متذكرا اوجاعه، وذكرا ببنيه كعادته في كل محفل:

أوَ ما تلمحون –رغم "مشيبي" – قبلاتِ الهوى على شفتيَّه؟
فالتقائي بكم على شعب الدر ب يُعزّي عن اغتراب بَنيَّه..
حمَّلوني أقصى الذي يحملُ القلـ ـبُ غداةَ اختاروا الدروبَ القصيَّه
أنا في كل رحلة أتعزَّى بالذي يُدخل السرورَ عليَّهْ!
كدتُ أنسى من فَرحتي في ذَراكم كلَّ بُؤْسَى قد بثها الدهر فيَّه..
أيُّ بُؤْسَى أشدّ من فلَذاتٍ تركونا في وَحشةٍ وبليَّه؟[1]

وخلال هذه الزيارة لتونس وبعد الحفل مباشرة فاجأته وعكة صحية أخرى، داهمته وهو في كامل عافيته، أشار إليها في قصيدته" وأقول لو كان البنون بجانبي" مخاطبا صديقه المهجري جورج صيدح بقوله:

لم تُنْسكَ الأوجاع أوجاعي التي فاجأْنَني في (تونسَ) الخضراء
داهمْنني وأنا بأوفر صحة وأجلِّ عافية، وخير رُواء
ولقد هَوَيْتُ إلى الحضيض بتونسٍ، وأنا هناك بقمة النعماء!
دهمتنيَ الأوجاعُ حتى خلْتُني أقضي بها وأنا غريب نائي!
لولا يدٌ للطيبين لمستُها ما طال فيها بعد ذاك بقائي!
والمرء يؤتى من مسالك صفوِه، ويُنالُ مِنْ أَمْن به ورخاءِ[2]

(١) من وحي الأكباد النازحة: ٦٢.
(٢) المصدر السابق: ٤٨.

وبعد عودته من تونس بمدة يسيرة، وفي الصيف تحديداً يتوجه شاعرنا نحو بغداد للمشاركة في حفل تأبين المؤرخ والأديب فؤاد عباس، وتوثق زيارته هذه قصيدته: "**خلوا الجراح تقرب كل من بعدوا**"، ومما ينبغي ذكره هنا، هو أن شاعرنا في مقدمة النص يقول:" أقيم في بغداد في صيف ١٩٧٦م حفل تأبين للباحث الأستاذ فؤاد عباس، ودعي الشاعر للمشاركة في الحفل، فألقى الأبيات التالية التي تصور بعض مواجعه على أكباده النازحة... "[١]، فالمناسبة هي مناسبة تأبين لمؤرخ وصديق، ولكن شاعرنا يحولها لتكون تصويراً لمواجعه، وينسى أو يكاد فاجعة المؤرخين بفقد فؤاد عباس، الذي أقيم التأبين من أجله، وفيها ينشد أبياته الرائعة التي يعزي فيها نفسه قبل تعزية العراقيين في مؤرخهم، فيقول:

دعوتمـــوني لأبكـــي في مـــصيبتكم، إن المصابَ جليلٌ حـــين تنفـــرد..

إن الجِـــــراح بقلـــــبي لا يُهوِّنهـــــا إلا جراحٌ لكم بالقلـــب تنعقـــد

إن الـــــدموعَ بعـــــيني لا يُكفكِفهـــا إلا دموعٌ لكم كالسَّيل تطَّـــرد..

حَمَلتُ في الصَّحْبِ أحزاني، وفي وَلَدي حملتُ في البَيْن ما لا يحملُ الولد..

ومن تسئهُ الليالي مثـــلَ مـــا فعلـــتْ بنا الليالي، ففي سلوانكم مَـــددُ[٢]

وفي عام ١٩٧٧م تصادفنا قصيدتان، أولاهما " **لم أزل من نأيهم في وحشة**" كتبها في القاهرة في تأبين صديقه الشاعر صالح جودت [٣]، بعد سنة من وفاته، فصالح جودت توفي في يونيو ١٩٧٦م، وبعد عام من وفاته وفي يونيو من عام ١٩٧٧م شارك شاعرنا بهذه القصيدة في حفل تأبينه، ومن

(١) من وحي الأكباد النازحة: ٧٤.

(٢) المصدر السابق: ٧٥.

(٣) المصدر السابق: ٧١.

عنوانها –كما سبقت الإشارة –يرحل بنا شاعرنا فوراً إلى همه ومأساته، ويجنح بنا بعيداً عن مناسبة الفقد، ومشاعر التأبين والعزاء. وثانيتهما " **وكنت برًّا بأكبادي**"، وهي في تأبين صديقه الشاعر المهجري الكبير شفيق معلوف، كتبت بعد سنة من وفاته، كما ذكر ذلك الشاعر في هامش القصيدة قائلا:" توفى شفيق في عيد الميلاد المجيد سنة ١٩٧٦م"(١)، وبعث شاعرنا بهذه القصيدة من القاهرة لتلقى في مناسبة تأبينه، وقد ذكر في مقدمتها مكانة شفيق عنده، بقوله: "كان الشاعر المهجري شفيق المعلوف كثير البر والسؤال عن أبنائي المغتربين في البرازيل، فلما مات نظمت هذا القصيدة التي ألقيت في حفل تأبينه "(٢)، فهي أرسلت إلى البرازيل وألقيت في الحفل، ولم يظهر لي من الذي ألقاها نيابة عنه، وقد أشار في خاتمتها إلى حسرته من عدم حضوره جنازة صديقه وكذا مراسم تأبينه، بقوله:

يا ليتني كنتُ يوم الدفن حاضِـرَهُمْ! لما اسـتحثُّوا الخُطَـى سـعياً لمقبرتـك

لكنتُ أرجـأتُهُم حينـا نَـصُبُّ بـه أحْلَى النسائم من (لبنـانَ) في رئتـك!

لكنْ لعلَّكَ أسـرعتَ الخُطَـى لَهَفـاً إلى التقائك في الأخرى بملـهمتك(٣)..!!

وفيها يكرر ما أشار إليه أكثر من مرة في ديوانه وهو سبق شفيق إلى تكريمه، إذ كان أول مهجري يكرمه في البرازيل، في المأدبة السرية بنادي زحلة بمدينة ساوباولو، ولهذا طرح شاعرنا سؤالا مفاده: هل سيقدر على رثائه بالقدر الذي يساوي مدائحه فيه من قبل، أو يجازي صنائع معروفه؟ وهو سؤال ظريف، ومعنى لطيف، فيقول:

---

(١) من وحي الأكباد النازحة: ٧٨.

(٢) المصدر السابق: ٧٧.

(٣) المصدر السابق: ٧٨ ، والمقصود بقوله: بملهمتك: قرينة شفيق معلوف: السيدة روز المعلوف، وتوفيت قبله.

إني نظمتُ لك الأمـــداحَ صـــادقة، فهل أطيـــقُ هنـــا نظمـــا لمرثيتِـــكْ؟
لما لقيتُـــك في (النـــادي) تكـــرِّمني، أصغرتُ ما أكبرتْهُ الأُذنُ من صِـــفَتِكْ
فما حظيـــتُ بتكـــريم كتكرمتـــكْ، ولا التقيـــتُ بعرفـــانٍ كمعرفتـــك
تلـــك المـــآثرُ حـــاطتني بمغتـــربي، لم أَلْقَ –والله– فيهـــا مثـــلَ مَأْثَرَتِـــكْ
حشدتَ لي موكبا ضـــخما تعـــززه –مع القِرَى– لغةٌ كالحبِّ في لغتـــكْ!
قصيدتي لك –وايم الحق– ما بلغـــتْ معشار هـــذا التحفِّـــي في معلقتـــكْ!
يومٌ من الدهر في (سان بـــول) مـــا تغدو المكارم فيه دون مكرمتـــكْ... (١)

ولم تؤرخ أي قصيدة من قصائده في عام ١٩٧٨م أو توثق رحلاته فيه ، بينما نجد قصيدة واحدة مؤرخة في العام الذي يليه وهو ١٩٧٩م وهي قصيدة: "**لكنني يا أبا الأبطال معتذر**" كتبها وهو في القاهرة، مخلداً ذكرى المجاهد الكبير عمر المختار، بمناسبة المهرجان التذكاري الذي أقيم له في بنغازي، بليبيا، وهذا المهرجان أقيم ذاك العام–١٩٧٩م– في سبتمبر، وقد اعتذر شاعرنا عن عدم تمكنه من المشاركة في المهرجان لا بسب عدم قدرته على السفر ، ولكن بسبب أنه كان على موعد هو وزوجته مع استقبال البنين النازحين هذه المرة للقيا بهم في مصر، وليس اللقيا بهم في المهجر، فيقول معللاً سبب غيابه:

يا ليتني جئتُ في ذكراكَ مشتركاً وما ثنـــانيَ عنـــك الـــسَّيرُ والـــسفر!
لكنني، يا أبا الأبطـــالِ، معتـــذرٌ، ما أصدَقَ الـــشِّعرَ إذ وافـــاك يعتـــذر!
أكباديَ النازحون اليوم ضـــمَّهُمُ يـــومٌ إلى مُلتقانـــا فيـــه ننتظـــر..
أنا وأُمُّهُمُ في مصرَ مـــا برحَـــتْ أكبادنا نَحـــوهُمْ تهفـــو، وتنحـــدر...

(١) من وحي الأكباد النازحة: ٧٧.

لا صبر عندي على لقيا جوارحنا، وأنتَ أنت على لقايَ تــصطبر..!! [1]

وفي السنة التالية وهي **سنة ١٩٨٠م** يترحل شاعرنا نحو البنين في مهاجرهم، وفيها يسافر للأمريكيتين في رحلة واحدة، حيث سافر إلى الولايات المتحدة الأمريكية أولاً، ثم انتقل منها إلى مدينة سلفادور البرازيلية للقاء البنين جميعا هناك عند ابنه هاني، ورحلته هذه وثقتها ست قصائد من القصائد السبع التي كتبها هذا العام مما ضمه الديوان من قصائد، وهي بهذا الترتيب(" هنا ملتقانا هنا الموعد"، " يذوب المهاجر في أرضها"، "السنجاب الحائر"، "فمصر الثراء ومصر العطاء"، "أفتش عن أكبدي النازحين"، "هناك على الربوة العالية")، فهذه كتبها في رحلته المهجرية، والسابعة في هذا العام" يوم زرنا فراخنا" كتبها في القاهرة بعد عودته من رحلته .

فأولى القصائد في هذه الرحلة هذا العام هي "**هنا ملتقانا هنا الموعد**" كتبها عند وصوله إلى ولده أحمد الطبيب بجامعة بتسبرج بالولايات المتحدة الأمريكية، وفيها تحدث عن حفيديه البعيدين هناك في البرازيل، واستبشر بالسمي الجديد المولود حديثا في بتسبرج" محمد بن أحمد"، كما وصف فيها عناء الرحلة نحو الولايات المتحدة، ووثق السفر واصفاً، ومما قاله:

إذا رمــــتُ رؤيـــتكم في المنـــام تـــأبَّى المنـــام فـــلا أسْـــعَدُ!

وإن شـــئتُ زورتكـــم مـــرةً يكـــاد الطريـــق بنـــا يـــشردُ!

نطـــير علـــى مـــتن (نفاثـــة) وينبـــو بنـــا فوقهـــا المَقْعَـــد !

تئـــزُّ مدويـــةً في الفـــضاء وتـــبرق في الجـــو أو ترعـــد

وتطوي بنـــا الليـــلَ بعـــد النـــهار فليـــست تكـــلُّ ولا تخمـــد ..!

(١) المصدر السابق: ٦٧.

بـــنيَّ: لكـــم وحـــشةٌ في الفـــؤاد وفيـــــه لفـــــرقتكم موقـــــد!
ولي في الطريـــــق لكـــــم موقـــــفٌ يطيب الـــسرى فيـــه أو يحمـــد[1]

وثاني تلك القصائد التي كتبها في هذه الرحلة، هي " **يذوب المهاجر في أرضها**"، وفيها يخاطب الحفيدين" جميل ونادر" الساكنين في البرازيل، متشوقا للقائهما، ومهدياً القصيدة إليهما، ويبدي تعلق قلبه بهما قائلا:

"جميـــلٌ" تَعلَّـــق قلـــبي بـــه، و"نـــادرُ" قلـــبي بـــه أعْلـــق
صـــغيرين... مثـــل فـــراخ القطـــا فـــؤادي بحبليهمـــا مُوثَـــق[2]

ويطرق معنى مهما هنا وهو أن خوفه على الأحفاد من الغربة ومساؤي الهجرة أشد من خوفه على الآباء قائلا:

وإني لأشـــفق يـــا أكبُـــدي! ولكـــن بأكبـــادكم أشْـــفَق
فأنتم غـــصوني الـــتي اســـتحكمَتْ ولكنـــهم غُـــصنيَ المـــورق
بـــراعمُ فـــوق ريـــاض نـــأتْ فأوسَـــعُها أبـــداً ضـــيّق
ولا "النيل" مـــن فوقهـــا كـــوثرٌ، ولا الخير مـــن فيـــضه مُغـــدق..
ولا الناس فيهـــا كنـــاسِ الحِمَـــى قلوبٌ علـــى الحـــب تـــستوثق..
أخـــاف علـــيهم ديـــارَ النـــوى فـــإن الـــضَّياعَ بهـــا مُحـــدِق..
ومـــا للعروبـــة فيهـــا بقـــاءٌ ولا للبيـــان بهـــا مَـــشْرق
يـــذوب المُهـــاجر في أرضـــها ويأكلُـــهُ جوفُهـــا المُحْـــرق[3]

(١) من وحي الأكباد النازحة: ١٣-١٤.
(٢) المصدر السابق: ٢١.
(٣) المصدر السابق: ٢١-٢٢.

وتليها في هذه الرحلة القصيدة التأملية" **السنجاب الحائر**"، وهي في تأمل الحياة والأحياء، والرحلة والراحلين، وما السنجاب الحائر إلا معادل موضوعي لأبنائه المهاجرين الراحلين من أعشاشهم وأوكارهم الآمنة إلى المجهول، إذ يبين ذلك مقدما بقوله:" رأى الشاعر في غابة من غابات نيوجرسي الأمريكية سنجابا حائرا يتنقل بين الغصون والروح غاديا رائحا على غير هدى ...فذكره هذا بخطوات الحائرين على درب الغربة الطويل "(١).

وقصيدته الرابعة في هذه الرحلة هي" **فمصر الثراء ومصر العطاء**" كتبها لدى وصوله إلى مدينة سلفادور بشمال شرق البرازيل قادما برفقة ابنه أحمد من الولايات المتحدة الأمريكية، وفي سلفادور يجتمع شمل الأسرة، ويلتقي بأكباده النازحين، وأحفاده المقربين، وتصور القصيدة معاني ذلك اللقاء، وتلك اللحظات فيقول:

تَلاقَــى الأحبَّــةُ ... وافــرحتي! لقــــد حقَّــــقَ الله أمنــــيتي!

فعــاد الهــدوءُ إلى خــاطري، وآب الــــسرور إلى مُهجــــتي

وقــرَّ الرفيقــان عينــاً... كمــا يقــــرُّ المــــسافر بالأوبــــة

هنا التأم الــشمل بعــد الفــراق بــأرض التغــرُّب والوحــشة (٢)

وفي هذه القصيدة يعلل شاعرنا سبب قلقه الدائم على بنيه، وخوفه الكبير عليهم، وتذكرهم في كل حين وفي كل مناسبة، يعلل ذلك بخوفه عليهم من الهوان الذي يلاقيه الغريب في بلاد لا أنيس بها ولا عضيد، ولكن بنيه لم يخيبوا ظنه، إذ كانوا يملكون من الجرأة وتحمل الصعاب ومن الهمة العالية ما يدعو للفخر والغبطة، فيقول:

---

(١) من وحي الأكباد النازحة: ٣١.

(٢) المصدر السابق: ١٧.

لقد غادروا عُشَّهم هازئين ببعُدِ المسافة والشُّقةِ
فلم تُثْنِهم غمراتُ المحيط، ولا زَبَدُ الموج واللجة
لهم جرأة في اقتحام الصعاب، وصبرٌ على الحلو والمرة...
خشيتُ عليهم هوانَ الغريب، وذُلَّ الترحُّل والغربة
وأشفقتُ أن يركبوا مركباً يضاعِف من أجلهم حسرتي
ولكنهم أوغلوا كالسهام تصيبُ وتبعدُ في الرَّمْيَة
لهم همةٌ مثل آبائهم! تَبارَكْتِ –والله– من همة!
تروح لأبعد غاياتها، وتغدو بعيدا عن الخيبة
ترى في "البرازيل" مسْرى لها، ومغدى إلى المجد والرفعة[1]

وقد سبقت الإشارة إلى تضمن هذه القصيدة حديث الشاعر المطول حول غَنَاء مصر، وأنها لم تبخل يوما على بنيها، وأنها بلاد العطاء، وأرض السخاء، ولكن شاء الله لبنيه مفارقة الديار؛ لحكمة منه، ولقدر لا يمكن رده. وفي القصيدة التالية في رحلته هذه وهي "**أفتش عن أكبدي النازحين**" التي كتبها بعد أيام من اجتماع الشمل في البرازيل عام ١٩٨٠م، نراه ينعم النظر والتأمل في رحلاته التي لا تتوقف، ويتساءل متى يمكن له أن يستقر:

إلامَ أظلُّ أشقُّ الهوى وأغزو الجواء، وأطوي الدُّنى؟
أقلِّب طرفي هناك ضُحىً، وأرمي بلحظي هنا مَوْهِنا
أفتش عن أكبدي النازحين وقد تخذوا في السُّهى مسكنا
أطُوف المواقعَ من أجلهم وَأَلمسُهُم ههنا، أو هُنا... [2]

(١) من وحي الأكباد النازحة: ١٧–١٨.
(٢) المصدر السابق: ٢٣.

وفيها يوضح أن كل المشغلات والأعمال التي كان يظن أنها ستشغل باله عن التفكير في بنيه لم تُجدِ نفعاً، وأن الأمجاد التي حققها، والمسؤوليات التي تقلدها وعلى رأسها انشغاله بمجمع اللغة العربية بالقاهرة لم تكن لتعوضه عن بنيه، فيقول:

فلا مجـدَ مـن بَعـدِهم يُرتَجـى، ولا مـالَ مـن بعـدهم يُقتَنَـى

ولا ردَّ لي "مجمـعُ الخالـدين" فِراشـي الـذي لم يَعُـد ليِّنـا (١)

وفيها تبدأ حالة من الحزن تظهر عليه وتلازمه في جل نصوصه التالية، ونستبين منها شعوره بالإرهاق من مواصلة الرحلة، فقد شعر نفسيا بالملل، وجسديا بالوهن، يقول:

نزحـت إلى أكبـدي النازحـات أجـوس إلـيهم طريـق العنـا

وقد وهَـنَ العظـمُ مـني...كمـا ترفَّـقَ خطـوي...فمـا أوهَنـا!

علـيلا...ومـا بيَ مـن علـةٍ سوى أنني ذقتُ طعـمَ الـضَّنى (٢)

وخاتمة قصائده في هذه الرحلة وفي مدينة سلفادور بالبرازيل سنة ١٩٨٠م قصيدة "**هناك على الربوة العالية**"، وفيها يصف رحلاته المتكررة وما يلحقه منها من وهن لم يعد خافياً، فيقول:

شـققْتُ المحـيط لكـم هـادراً، وخـضتُ الريـاحَ لكـم عاتيـه

أنـا والرفيقـة في رحلـةٍ وفي لهفـة نحـوكم طاغيـه

فلـسنا نبـالي –لنحظـى بكـم– متاعـبَ جَولاتنـا القاسـيه(٣)

---

(١) من وحي الأكباد النازحة: ٢٣.

(٢) المصدر السابق: ٢٤.

(٣) المصدر السابق: ١٦.

وهي قصيدة تأملية في حال المهجر، وأحوال المهجريين، وفيها تأكيد على بعض ما كان يخاف على بنيه منه، كالذوبان في الغربة وفقدان الهوية، وغيرهما وهذا التخوف صوره في قوله:

هنـــاك علـــى الربـــوة العاليـــه فقـــدت المواســـيَ والآســـيه

فيـــا ربِّ عفـــوا! فـــلا مـــسجدٌ أناجيـــك فيـــه، أو زاويـــه

وكيف؟ وأنـــت إذا مـــا اتجهـــتُ صـــلاتي، ونـــسكي، وقرآنيـــه؟

أراك علـــى كـــل غـــصن يـــرفُّ وفي كـــل ســـنبلة ناميـــه[1]

وهذا المعنى تكرر في نصوص منها على سبيل المثال: "**هنا ملتقانا هنا الموعد**"، في مثل قوله:

مـــــواطنُ –والله– لم يرتفـــــع أذانٌ بهـــا، أو يَقُـــم مـــسجد

ولا رقَّ في أذني مقـــــــــرئ يرتِّـــــل لله، أو يُنـــــشدُ [2]

وقصيدة " **يذوب المهاجر في أرضها**"[3]التي يحكي عنوانها المعنى ذاته.

وهذه القصيدة هي آخر قصائده التي كتبها أثناء رحلته للولايات المتحدة والبرازيل عام ١٩٨٠م، ومن اللافت أنه لا يوجد فيها أي نص يصور احتفاءات المهجريين به كما هو الحال في زيارته الأولى عام ١٩٧٥م، والسبب– في تقديري– يعود إلى أمرين، هما:

أولا: أنه اختار مكان إقامته مدينة سلفادور، حيث يسكن ابنه هاني، وهي مدينة تقع في شمال شرق البرازيل في ولاية باهية، وتبعد حوالي ألفي كيل عن ساوباولو حيث يعيش أكثر المهجريين.

---

(١) من وحي الأكباد النازحة: ١٥.

(٢) المصدر السابق: ١٢.

(٣) المصدر السابق: ٢١.

ثانيا: تفرق شمل المهجريين، حيث غيب الموت عدداً منهم بين سفرتيه الأولى والثانية، وعلى رأسهم شفيق معلوف صديقه الأحب الذي توفي سنة ١٩٧٦م، وإلياس فرحات كذلك توفي سنة ١٩٧٦م، وفيليب لطف الله لازمه المرض ثلاث سنوات منذ ١٩٧٧م، وتوفي وشاعرنا آنذاك في سلفادور سنة ١٩٨٠م.

ولم يبق من المهجريين الأثيرين لديه على قيد الحياة آنذاك –ممن قابلهم في زياراته السابقة – سوى مريانا دعبول، ولذا نجده عند عودته إلى القاهرة في ذلك العام يكتب فيها وعنها قصيدته الرائعة "**يوم زرنا فراخنا**"، وفيها يتذكر المهجريين، ويشيد بوفاء مريانا دعبول لزوجها، وقدمها بقوله:" ناجت الأديبة ماريانا دعبول فاخوري صاحبة "المراحل" بالبرازيل زوجها الذي فقدته منذ ثلاثين عاما، وقد ترجم الشاعر هذه المناجاة إلى مقطوعة شعرية، وأعقبها بمقطوعة يناجي بها صاحبة المراحل "[(١)]، والقصيدة نص فريد من نوعه، حيث صنع نصاً شعرياً على لسان مريانا، مترجماً مقالها الذي كتبته عن زوجها، ثم يعارض النص الذي كتبه على لسانها بنص آخر، فالنصان كلاهما له، ولكن بصوتين مختلفين، وفي آخرها يشير إلى أنه كتب النص بعد عودته من زيارة أبنائه بقوله:

يـــومَ زُرنـــا فراخَنـــا... فأزَحْنـــا كُـــرَبَ الهَـــمِّ نحـــوهمْ واســـترحنا!

ثم عُـــدنا لمـــصرَ نُغمِـــض عينـــا عن مراراتنـــا، ونفـــتح عينـــا... [(٢)]

وتحل بنا السنة الأخيرة التي وثقت فيها نصوصه رحلاته، وهي سنة ١٩٨١م، وفيها نلتقي بخمس قصائد، وهي كما قيلت زمنياً ("فاضحك إلى الدنيا الجميلة"، "خلف البنين النازحين"، "ما ضر لوكنا التقطنا حكمة"، " أفكار في مساء العمر"، "جئت في موكب من الخلد ضاف")، الأولى منها والأخيرة كتبهما في القاهرة، والثلاث الأخريات كتبها موثقا رحلته الأخيرة – على ما أظن– إلى زيارة أكباده النازحين، وكانت إلى الولايات المتحدة الأمريكية.

---

(١) من وحي الأكباد النازحة: ٦٥.
(٢) المصدر السابق: ٦٦.

فقصيدة " **فاضحك إلى الدنيا الجميلة**" ربما كتبها وهو في القاهرة، في أول العام وفيها يواسي ابنه يحيى الذي تعرض إلى ما يعكر صفو حياته هناك في مهجره، وتردده ذاهبا آيبا بين الولايات المتحدة والبرازيل[1]، ويليها قصيدة " **خلف البنين النازحين**" وهي توثق لقاءه بأبنائه النازحين في الولايات المتحدة الأمريكية تقريبا في شهر مايو ١٩٨١م، وفيها يجتمع الشمل في بتسبرج كما اجتمع في العام الذي قبله في سلفادور، فنجده يخاطب القمر البعيد المسافر هناك في عليائه، شارحاً له حالته مع الرحلة وهمومها، ووهن عظمه، وكبر سنه، والآلام التي تلاحقه، فيقول موضحا حالته في خاتمة المشوار ونهاية القصيدة:

ولستَ تدري غمراتِ المشتكي ... ولا تُحسُّ سكراتِ المحتضر...
ولا أنينَ من أذابته النوى ... ولا اكتيئابَ من تجافاه السَّمَر
ولستَ تدري أنني في رحلة ... مثلك أعياني على الأرض السفر
خلفَ البنين النازحين لم أزلْ ... أقتحمُ البيدَ عليهم والحَضَر
وأقطَع الجَدْبَ إليهم تارةً، ... وتارةً أغرَقُ في بحر المَطَر...
بين الشَّمال والجَنوبِ هائما ... فلا تُخيفني مزالقُ الخَطَر...
وأسلكُ الدربَ إليهم هازئاً ... بكلِّ هولٍ في الطريق منتظر
فلم يعُدْ لي بعد يومي طاقةٌ ... على احتمالي لمشقَّات الكِبَرْ... [2]

فهو هنا يصل إلى منتهاه من الركض والتطواف، ولم تعد له طاقة لاحتمال المزيد. وفي الرحلة نفسها كتب رائعته " **ما ضر لو كنا التقطنا حكمة**"، وفيها يكرر بعضا من معاني قصيدته السابقة، وتشعر فيها بيأس وعجز، واعترافات

(١) من وحي الأكباد النازحة : ١٩.
(٢) المصدر السابق: ٣٣.

بعدم القدرة على المواصلة، فالنتيجة هي لا شيء، ومهما فعل فلن يجدي الحراك والترحال، ولو انه أدرك الحقيقة مبكرا لما أهلك بدنه وأرهق نفسه فيقول:

ولستُ أَهْنــا بالــذي أحبُّــهُ حتى أُراعَ بالــذي لــست أُحِــبّ

واستكثرَ الدهرُ علــيَّ صِــبْيتي فانفرط العقد الجميــع، وانــسرَب!

وانتشــروا في منتــآهم حَبَّــةً فحبَّــةً... وأبعــدوا في المغتــرب

لو أنني أدركتُ قيمةَ المــدى، لما تجــاوزتُ حــدودي في الطلــب!

وكنتُ أنقذتُ خُطايَ كلــها من خطوةٍ تقــودني إلى العطَــب.. (١)

ويختمهما بمعنى له دلالات نفسية عميقة، وموحية، وفيها يستشعر قرب النهاية، حيث يشير إلى أن العمر تأكله الغفلة، ولا يستفيق الإنسان إلا بعد فوات الأوان، فيقول:

ولا يزال المــرءُ في غفلتــه حتى توافيــه المنــونُ عــن كَثَــب.. (٢)

وتختم رحلته المهجرية الأخيرة سنة ١٩٨١م بتأمليته "**أفكار في مساء العمر**" وهي القصيدة الثرية بالخبرات والتجارب الكبيرة، وكذا بالشعور الذي خيم على رحلته هذه، وهو الوداع للبنين، وإلقاء عصا الترحال، والملل من التطواف، وفيها تسمع كلمات كثيرة قادمة من معجم اليأس، والضياع، والخيبة، والأمل المخادع، وغيرها، من مثل قوله:

إني ســـئمت مـــن التَّرَحْـــ ـــحُل، والترجُّــل، والركــوب

وأضـــعت أكبـــادي بـــأر جَـــاءِ الـــشَّمالِ أو الجنـــوب

---

(١) من وحي الأكباد النازحة: ٣٤.

(٢) المصدر السابق: ٣٥.

وأنـــــا وأمّهُـــــمُ علـــــى أملٍ صـــدوق، أو كـــذوب [1]

وينشئ حواراً عميقا بين نفسه وجسده، نفسه التي تاقت للرحيل، وجسده المتعب المنهك، فيقول مصوراً بعض ما دار بينهما:

يـــا نفـــسُ قـــد حـــان الفـــرا ق لـــذلك الـــسِّجن الكئيـــبِ

ســـجنٌ مـــن الفَخَّـــار قُـــدَّ م وصُـــبَّ مـــن حَمَـــأٍ مـــشوب

كيـــف اســـتقامَ لـــكِ المقـــا مُ بـــذلك الجـــسَد العجيـــب؟

ماكنـــــــتِ إلا في حمـــــــىً نـــــاءٍ، وفي وطـــــنٍ غريـــــبِ

شـــــتَّانَ بـــــين مجاوريْـــــ ـــنِ على التنازع والحـــروب!

متـــــــساكنَيْنِ... تَنَاقـــــضا في الأصل، والطبـــع الغلـــوب

هـــذا مـــن الصَّلـــصال صيـــ ـــغَ، وذاكَ من نور وطيـــبِ [2]

والقصيدة الأخيرة في هذا العام ١٩٨١م وفي الديوان كذلك هي" **جئتُ في موكب من الخلد ضاف**"، كتبها في القاهرة، وألقاها في دمشق في احتفال الهجرة النبوية الشريفة، تقريباً في أكتوبر من عام ١٩٨١م[3]، ويبدو أن رحلته إلى دمشق هي آخر رحلاته. واللافت هنا أني وبعد بحث مطول لم أجد له أي قصيدة بعد قصيدته هذه التي ألقاها في دمشق "**جئتُ في موكب من الخلد ضاف**"، فهل فعلا هذه هي آخر ما قال، وصمت بعدها عن قول الشعر؟ أو أن له نصوصا أخرى، فُقدت أو مازالت حبيسة الأدراج؟ هذا سؤال يظل مطروحًا بين أيدي الباحثين، لعل هناك من يجيب عنه.

---

(١) من وحي الأكباد النازحة: ٣٦.

(٢) المصدر السابق: ٣٧.

(٣) الاحتفال بالهجرة في محرم عادة، ومحرم في ذلك العام ١٤٠٢هـ يوافق أكتوبر من عام ١٩٨١م.

الخاتمة:

سعت هذا الدراسة إلى الوقوف على معالم ديوان فريد، لشاعرٍ كبير، هو شاعر الأهرام محمد عبد الغني حسن، وفرادته هذه متمثلة في أنه ما عُرف أنَّ شاعراً في الأدب العربي كله، على مدى تاريخه الطويل، صنع ديوان شعر برُمَّته في الشوق والحنين إلى أبنائه المغتربين، ومن هنا كانت قيمة هذا الديوان الفريد الذي كاد صاحبه يجعله كله وقفا على اغتراب البنين، والشوق إليهم، وانتهاز كل فرصة مواتية، للحديث عن تلك الأشواق.

كما سعت الدراسة إلى التركيز على الجانب الأبرز في هذا الديوان، وهو حديث الرحلة، المرافق لصوت الأب المفجوع برحيل الأبناء، من خلال أربعةٍ وثلاثين نصاً ضمها الديوان بين دفتيه، وكان فعل الرحلة عليها طاغياً، ومغامرة السرد والوصف لتفاصيل رحلاته خلف البنين جلياً وبيناً؛ فالباعث الذي دعا شاعرنا لإنتاج نصوصه هو رحيل الأبناء إلى المهاجر، ورحلاته التي صورتها نصوصه هنا إنما كانت حداءَ راحلٍ خلفَ راحلين؛ راحلٍ بروحه من خلالِ النصوصِ التي كتبها وهو في القاهرة، وبجسده وهو بين أبنائه في مهاجرهم الأمريكية.

ولم تستهدف الدراسة كل جوانب الرحلة في الديوان أو تستقصي سائر اتجاهاتها ودلالاتها، وإنما سعت إلى تبيين كيفية إفادة شاعرنا من العتبات النصية في صناعة نصه وتوثيق رحلاته، وكيف وظفها توظيفا دقيقا؛ لهيكلٍ نصي ثري، ومن هنا فقد ركزت في هذا البحث على الديوان نفسه دون تشتيت الذهن بموازنات ومقارنات خارج إطاره، بسبب أنه ديوان بكر لم ينشر من قبل، فضلاً عن أن يكون قد تناوله أحد من قبل بالدرس والتحليل، كما تبين كذلك أن ما كتب عن الشاعر من دراسات سابقة لم تتطرق منها أي دراسة لهذا الديوان؛ ولذا استحق ذاك التركيز، وهو به جدير، وقد توصلت هذه الدراسة إلى استنتاجات عدة، من أبرزها:

أولا: شكلت الرحلة في هذا الديوان أرضية خصبة للانطلاق في عوالم شاعرنا ؛ فهو هنا في ديوانه "من وحي الأكباد النازحة" رحَّالة، بكل ما تحمله الكلمة من معنى، قام بنقل هذا العالم الذي ارتحل إليه، وهو لم يكن عالماً واحداً، بل عوالم متنوعة، عالم النفس البشرية التي بين جنبيه، وعالم أبنائه وأحلامهم ومناهم وتطلعاتهم ، وعالم الأدباء المهجريين الذين التقاهم هناك في المهاجر الأمريكية، وباقتدارٍ نقل إلينا صُورَ ما رأى من تلك العوالم الثلاثة ودلالات ما سمع، وكانت النصوص الأربعة والثلاثون فضاء من خلالها دوّن تجربة فريدة في الأدب العربي، تمثلت في توثيق أب مكلوم بالفقد أشواقه وآهاته، راصداً أحاديث نفسه ومعلنها، واصفاً رحلاته خلف البنين في كل ناد ومحفل.

ثانياً: الخطاب الرحلي الذي بين يدينا حمل خصوصية وفرادة، حين عجَّ بحمولات الشوق والحنين أكثر من حمولات الوصف الرحلي التقليدي للأماكن والعجائب، والمشاهدات والغرائب، وحديث شاعرنا هنا في خطابه المتفرد عن أكباده، ووصفه الشيق لرحلاته المهجرية وصلاته يتجاوز الإمتاع والمؤانسة إلى الغوص في أعماق المشاعر الإنسانية، ودقائق خفيات الروح البشرية الهشة، إذ نرى من خلالها كيف أنَّ همًّا واحداً قد يغدو مسيطرا عليها، فإذا به هو الشغل الشاغل لها، يسير معها أينما سارت، يرافقها في كل حالاتها، يحل معها حيث حلت، ويرتحل معها أينما ارتحلت، فرأينا شاعرنا حزينا قد مزقت الأشواق فؤاده وهو في مصر بعيداً عن بنيه، ورأيناه مكتئبا غريبا ومغتربا أسيفاً وهو بينهم في مهاجرهم، هو لا يتغير، وهو في مصر يتشوق لديار البنين في مهاجرهم، وهو في المهجر يتشوق لمصر حيث العطاء والثراء والحضارة والنقاء، ومن قبل ذلك وبعده وقف بنا خطابه على شخصية محمد عبدالغني حسن الرقيقة، وإنسانيته العالية، وروحه الآسرة.

ثالثاً: إذا كان الهدف والمغزى الرئيس لشاعرنا في ديوانه هو إشراك المتلقي معه في الوقوف على آلامه ومعاناته الشخصية من خلال ذكرى أكباده النازحة، فإنه وبكل براعة نقلنا معه إلى رحلاته المهجرية بوعي ووضوح وقصد، ولم يكن لسطوة الأثر الرحلي على النص أي إقصاء للمغزى الرئيس، وهو حنين الأب المفجوع بالفقد، المكلوم بانتظارات اللقاءات في كل فجّ، وأوجاع الوداع في كل حين.

رابعاً: أبان الديوان عن علاقات شاعرنا الواسعة بالمهجريين، وهي علاقات قديمة سبقت اتصال أبنائه بهم، إذ عرفهم من قبل؛ وذلك حينما ألف كتاباً فيهم، ثم توطدت علاقاته بهم لاحقاً من خلال احتفائهم به وببنيه، فكان أن خلدت نصوصه الثرية تلك الرحلة من العلاقات الوطيدة، وهي نصوص تستحق دراسة مستقلة، توازن بين محمد عبد الغني حسن الناقد والمؤرخ، ومحمد عبد الغني حسن الرحالة الأديب، توازن بين رؤاه المهجرية ناقدا من خلال كتابه، ورؤاه الذاتية شاعرا من خلال ديوانه.

خامساً: ديوان" من وحي الأكباد النازحة" –من خلال ما وثقته نصوصه من معلومات ورحلات وصلات–وثيقة مهمة لمعرفة تفاصيل مهجرية نادرة، لا يمكن العثور عليها في كتاب أو مقال.

* *

ثبت المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر:

١-من وحي الأكباد النازحة، لمحمد عبد الغني حسن، مخطوط، نسخته الوحيدة، لدى المهندس هاني حسن، البرازيل. (والديوان ملحق بهذا البحث).

ثانياً: المراجع:

٢- إتمام الأعلام، ذيل لكتاب الأعلام لخير الدين الزركلي، نزار أباظة ومحمد رياض المالح، دار صادر، بيروت، ط١ ١٩٩٩م.

٣- الأثر الإسلامي في شعر المهجر الجنوبي، إعداد عبد الرحمن بن أحمد الشقير، إشراف أ.د. حسين علي محمد – غير مطبوعة- رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الأدب العربي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية اللغة العربية، قسم الأدب،١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

٤- أثر التيارات الفكرية والشعرية الغربية في الشعر الحديث (١٨٠٠-١٩٧٠م)، أ. د. س. موريه، ترجمة د. شفيع السيد ود. سعد مصلوح، منشورات الجمل، بيروت، ط١، ٢٠١٤م.

٥- الأخبار التاريخية في السيرة الزكية، زكي مجاهد، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، ١٣٧٩هـ.

٦- الأدب العربي الحديث، محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، د.ت،٢٣٨/٢.

٧- أدب المهجر، د. عيسى الناعوري، دار المعارف، مصر، ط٣، ١٩٧٧م.

٨- أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية، جورج صيدح، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط٣، ١٩٦٤م.

٩- إغواء العتبة: عنوان القصيدة وأسئلة النقد، سامي العجلان، نادي أبها الأدبي، أبها، ومؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ط١، ٢٠١٥م.

١٠- بطل السند، محمد عبد الغني حسن، طبعة مطابع وإعلانات الشريف بالرياض، الطبعة الأولى ١٩٨٣م، مصورة عن طبعة دار المعارف،١٩٧٥م.

١١- تاريخ الشعر العربي الحديث، أحمد قبش، دار الجيل، بيروت، ١٩٨١م.

١٢- تتمة الأعلام، للزركلي، وفيات (١٣٩٧-١٤١٥هـ /١٩٧٧-١٩٩٥)، محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م.

١٣- تقويم دار العلوم، إعداد لجنة التقويم بدار العلوم، القاهرة ،١٤٤١هـ / ١٩٩١م.

١٤- الخطاب الموازي للقصيدة العربية المعاصرة، نبيل منصر، دار توبقال، الدار البيضاء، ط ١، ٢٠٠٧م.

١٥- دينامية النص (تنظير وإيجاز)، محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.

١٦- سائر على الدرب، محمد عبد الغني حسن، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط١، ١٩٧٥م.

١٧- سيميائية القصيدة، عابرون في كلام عابر لمحمود درويش نموذجاً، أحمد علي محمد، مجلة علامات في النقد، النادي الأدبي بجدة، مج ١٨، ع ٧٠، شعبان ١٤٣٠هـ/أغسطس ٢٠٠٩م.

١٨- السيميوطيقيا والعنونة، جميل حمداوي، مجلة عالم الفكر، الكويت، المجلد ٢٥، العدد ٣، يناير-مارس،١٩٩٧م.

١٩- شخصيات مجمعية في استقبال الأستاذ محمد عبد الغني حسن، أحمد محمد الحوفي، مجلة مجمع اللغة العربية، جمادى الآخرة ١٣٩٩هـ.

٢٠- شعراء العصبة الأندلسية في المهجر، د. عمر الدقاق، منشورات دار الشرق، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٧٨م.

٢١- الشعر العربي في المهجر، محمد عبد الغني حسن، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط٢، ١٩٥٨م.

٢٢- شعر محمد عبد الغني حسن، دراسة فنية، تيسير محمد الطيناوي، جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٨٧م، رقم (٣٠٧٣٩٥).

٢٣- شعر محمد عبد الغني حسن، دراسة فنية، زينب فؤاد عبد الكريم، جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٩١م، ومنه نسخة في مركز جمعة الماجد، الأمارات العربية المتحدة.

٢٤- عتبات: ج. جينيت من النص إلى المناص، عبدالحق بلعابد، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط١، ٢٠٠٨م.

٢٥- عتبات النص الأدبي: بحث نظري، حميد لحمداني، مجلة علامات في النقد، النادي الأدبي بجدة، المجلد ١٢، الجزء ٤٦، شوال ١٤٢٣هـ/ ديسمبر ٢٠٠٢م.

٢٦- عتبات النص: بحث في التراث العربي والخطاب النقدي المعاصر، يوسف الإدريسي، منشورات مقاربات، المغرب، ط١، ٢٠٠٨م.

٢٧- عتبات النص: المفهوم والموقعية والوظائف، مصطفى سلوي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة محمد الأول، وجدة، المغرب، ٢٠٠٣م.

٢٨- العرب في الأرجنتين: النشوء والتطور، د. عبد الواحد إكمير، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٠م.

٢٩- عشت مع هؤلاء الأعلام، عبد الله يوركي حلاق، مجلة الضاد، حلب، ١٩٨٨م.

٣٠- العنوان في النص الشعري الحديث في المملكة العربية السعودية: دراسة وصفية تحليلية، حمدان الحارثي، رسالة ماجستير بكلية اللغة العربية في جامعة أم القرى، مكة، ١٤٢٨هـ /٢٠٠٧م.

٣١- في إنشائية الفواتح النصية، أندري دي لانجو، ترجمة سعاد نبيغ، مجلة نوافذ، ع ١٠، شعبان ١٤٢٠ه/ديسمبر ١٩٩٩م.

٣٢- في شعرية الفاتحة النصية، (مقالة)، جليلة الطريطر، مجلة علامات في النقد، النادي الأدبي بجدة، جمادى الأولى ١٤١٩هـ.

٣٣- ما تبقى لكم، العنوان والدلالات(مقالة)، حسين خمري، مجلة الموقف الأدبي، ع٢١٦،٢١٥، آذار-نيسان،١٩٨٩م.

٣٤- مجلة الثقافة السورية، عدد يوليو ١٩٧٨.

٣٥- المجمعيون في خمسين عاماً، محمد مهدي علام، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

٣٦- مدخل إلى دراسة العنوان في الشعر السعودي، عبد الله بن سليم الرشيد، نادي القصيم الأدبي، بريدة، ط١، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

٣٧- معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢م، كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ /٢٠٠٣م.

٣٨- معجم الأسماء المستعارة وأصحابها، يوسف أحمد داغر، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٢م.

٣٩- مفكرون وأدباء من خلال آثارهم، أنور الجندي، دار الإرشاد، بيروت، د.ت.

٤٠- مقابلات المعرفة: الأديب الباحث الشاعر محمد عبد الغني حسن، مجلة المعرفة، العدد ٤٠، يونيو ١٩٦٥م.

٤١- من الأدب المقارن، نجيب العقيقي، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٦م.

٤٢- من نبع الحياة، محمد عبد الغني حسن، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط ١، ١٩٥٠م.
٤٣- من النص إلى العنوان (مقالة)، محمد بوعزة، مجلة علامات في النقد، النادي الأدبي بجدة، المجلد ١٤، الجزء ٥٣، رجب ١٤٢٥هـ/سبتمبر ٢٠٠٤م.
٤٤- من وحي المساء، مقالات ومحاورات، حسين علي محمد، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، د.ت.
٤٥- من وراء الأفق"، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط١، ١٩٤٨م.
٤٦- نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال، حسين خمري، الدار العربية للعلوم ناشرون- منشورات الاختلاف، الجزائر، ط١، ٢٠٠٧م.

* * *